الموسوعة الندية في الآداب الإسلامية

(٥)

الأدب مع القرآن الكريم

الشيخ/ندا أبو أحمد

الأدب مع القرآن الكريم

تمهيد

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَن يهد اللهُ فلا مضل له، ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدهُ ورسولُه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٢)

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: ١)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٧٠، ٧١)

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله ـ تعالى ـ، وخير الهدي، هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

نبض الرسالة

الأدب مع القرآن الكريم

الأدب الأول: الوقوف على فضائل القرآن، ليُقرأ بهمة ونشاط:

١- القرآن شفاء.
٢- القرآن سبب لنزول السكينة وغشيان الرحمة.
٣- القرآن يُفرِّج الله به الهموم، ويُذْهِب به الغموم.
٤- القرآن نورٌ للعبد في الدنيا وذخرًا له في الآخرة.
٥- القرآن يتحصل به العبد على جبال من الحسنات.
٦- القرآن سبب لزيادة الإيمان.
٧- القرآن سبب في ألا يكتب المرء من الغافلين.
٨- القرآن خير من الدنيا وما فيها.
٩- القرآن من أعظم أنواع التجارة مع الله.
١٠- القرآن يفتح أبواب الخير الكثيرة.
١١- القرآن يجعل المرء من خير الناس.
١٢- القرآن يجعل الإنسان لا يُرَدُّ إلى أرذل العمر.
١٣- القرآن سبب لمحبة الله تعالى للعبد.
١٤- القرآن سبب لحفظ الإنسان من فتنة الدجال.
١٥- حفظ القرآن سبب لرحمة الآباء.
١٦- القرآن سبب للحفظ من الزيغ والضلال.
١٧- القرآن سبب للنجاة من فتنة القبر.
١٨- القرآن يستقبل صاحبه عند خروجه من القبر.
١٩- القرآن سبب للنجاة من عذاب النار.
٢٠- القرآن يشفع لصاحبه يوم القيامة.
٢١- القرآن سبب لدخول الجَنَّة.
٢٢- القرآن يرتقي بصاحبه في أعلى درجات الجَنَّة.
٢٣- حفظ القرآن وإتقانه يجعل الإنسان في أعلى الجنان مع السفرة الكرام.

كلام السلف عن القرآن وأهله:

الأدب الثاني: الاعتقاد اليقيني أن القرآن الكريم هو كلام الله تعالى، تكلم به على الحقيقة، وهو صفة من صفاته:

الأدب الثالث: تعظيمُ القرآنِ وتنزيهُه:

الأدب الرابع: يستحب قراءة القرآن على طهارة:

الأدب الخامس: يستحب أن يقرأ القرآن في مَكانٍ نَظيفٍ طاهرٍ:

الأدب السادس: يستحب استِقبالُ القِبلةِ عند قراءة القرآن:

الأدب السابع: يستحب أن يكونَ الفمُ طاهرًا نظيفًا عند قراءة القرآن:

الأدب الثامن: يستحب لقارئ القرآن أن يقرأه وهو جالس:

الأدب التاسع: يستحب الاستِعاذةُ قَبلَ الشُّروعِ في قراءة القرآن:

الأدب العاشر: بعد الاستعاذة يبدأ بالبَسْملة:

الأدب الحادي عشر: يستحب عند قراءة القرآن أن يقرأ التِّلاوة بخُشوعٍ وتَدَبُّرٍ:

الأدب الثاني عشر: يستحب تَرتيلُ القُرآنِ الكَريمِ:

الأدب الثالث عشر: يستحب عند قراءة القرآن الوُقوفُ عِندَ كُلِّ آيةٍ:

الأدب الرابع عشر: لا ينكس في آيات القرآن، أو يخلط سورة بسورة:

الأدب الخامس عشر: يستحب تحسينُ الصَّوتِ عند قراءة القرآن:

الأدب السادس عشر: عدم الجهر بالقرآن:

الأدب السابع عشر: عَدَمُ رَفعِ الصَّوتِ عند قراءة القرآن إذا كان يُؤذي غَيرَه:

الأدب الثامن عشر: يستحب عند قراءة القرآن سؤالُ الله عندَ آياتِ الرحمةِ، والاستعاذةُ عندَ الوعيدِ، والتسبيحُ عندَ التنزيهِ:

الأدب التاسع عشر: يستحب الإمساكُ عنِ قراءة القرآن إذا تَثاءَبَ، أو غَلَبَه النُّعاسُ:

الأدب العشرون: عَدَمُ قِراءةِ القُرآنِ في الرُّكوعِ والسُّجودِ:

الأدب الحادي والعشرون: عَدَمُ المُداومةِ على خَتمِ القرآن في أقَلَّ مِن ثَلاثة أيام:

الأدب الثاني والعشرون: لا يُقال: نَسِيتُ آيةَ كَذا وكذا:

الأدب الثالث والعشرون: أن يختار الأوقات المفضلة لقراءة القرآن:

الأدب الرابع والعشرون: اجعل لك وِردًا من القرآن:

الأدب الخامس والعشرون: يستحب السُّجودُ في مواضِعِ سُجودِ التِّلاوةِ:

الأدب السادس والعشرون: المواظبة على قراءة القرآن، والحذر من هجرانه:

الأدب السابع والعشرون: يُستَحَبُّ أن يختم القرآن في مدة لا تزيد عن الأربعين يومًا:

الأدب الثامن والعشرون: يُستَحَبُّ البُكاءُ عِندَ تِلاوةِ القُرآنِ:

الأدب التاسع والعشرون: العَمَلُ بالقرآنِ الكريم وعَدَمُ مُخالَفتِه:

الأدب الثلاثون: يستحب الدُّعاءُ عند خَتمِ القُرآنِ خارِجَ الصَّلاةِ:

الأدب الحادي والثلاثون: عدم التباهي أمام الناس بختم القرآن:

الأدب الثاني والثلاثون: يستحب الاجتماعُ على تلاوةِ القرآنِ ومُدارَستِه:

الأدب الثالث والثلاثون: أن يتلقى القرآن من المشايخ المشهود لهم بالإتقان:

الأدب الرابع والثلاثون: الحرص على حفظِ القرآنِ بقدر المستطاع:

الأدب الخامس والثلاثون: عدم المراء في القرآن أو الجدال فيه بغير حق:

آدابِ تِلاوةِ القُرآنِ على الإجمال:

يقول ابن قدامة المقدسي-رحمه الله-: " يَنبَغي لقارِئِ القُرآنِ أن يَكونَ على وُضوءٍ، مُستَعمِلًا للأدَبِ، مُطرِقًا غيرَ مُتَّكِئٍ، ولا جالسٍ على هَيئةِ المُتَكَبِّرِ. وأفضَلُ الأحوالِ: أن يَقرَأَ في الصَّلاةِ قائِمًا، وأن يَكونَ في المَسجِدِ... ويُستَحَبُّ تَحسينُ القِراءةِ، وإذا لم يَكُنْ حَسَنَ الصَّوتِ حَسَّنه ما استَطاعَ، فأمَّا القِراءةُ بالألحانِ فقد كَرِهَها السَّلفُ. ويُستَحَبُّ الإسرارُ بالقِراءةِ. ولا بَأسَ بالجَهرِ في بَعضِ الأوقاتِ لمَقصودٍ صحيحٍ، إمَّا لتَجويدِ الحِفظِ، أو ليَصرِفَ عن نَفسِه الكَسَلَ والنَّومَ، أو ليوقِظَ الوَسنانَ... ومَن كان عِندَه مُصحَفٌ يَنبَغي له أن يَقرَأَ فيه كُلَّ يَومٍ آياتٍ يَسيرةً؛ لئَلَّا يَكونَ مَهجورًا. وينبغي لتالي القُرآنِ العَظيمِ أن يَنظُرَ كَيف لَطَف اللهُ تعالى بخَلقِه بإيصالِ مَعاني كَلامِه إلى أفهامِهم. وأن يَعلَمَ أنَّ ما يَقرَؤُه ليسَ مِن كَلامِ البَشَرِ. وأن يَستَحضِرَ عَظَمةَ المُتَكَلِّمِ سُبحانَه ويَتَدَبَّرَ كَلامَه؛ فإنَّ التَّدَبُّرَ هو المَقصودُ مِنَ القِراءةِ، وإن لم يَحصُلِ التَّدَبُّرُ إلَّا بتَرَدادِ الآيةِ فليُرَدِّدْها...

وينبغي للتَّالي أن يَستَوضِحَ مِن كُلِّ آيةٍ ما يَليقُ بها، ويَتَفهَّمَ ذلك، فإذا تَلا قَولَه تعالى: ﴿**خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ**﴾ (الأنعام:١) فليَعلَمْ عَظَمَتَه ويتلمَّحْ قُدرَتَه في كُلِّ ما يَراه. وإذا تَلا: ﴿**أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ**﴾ (الواقعة:٥٨) فليَتَفكَّرْ في نُطفةٍ مُتَشابهةِ الأجزاءِ، كَيف تَنقَسِمُ إلى لحمٍ وعَظمٍ، وعِرقٍ وعَصَبٍ، وأشكالٍ مُختَلفةٍ مِن رَأسٍ ويَدٍ ورِجلٍ، ثُمَّ إلى ما ظَهَرَ فيها مِنَ الصِّفاتِ الشَّريفةِ، كالسَّمعِ، والبَصَرِ، والعَقلِ، وغَيرِ ذلك؟! فيَتَأمَّلْ هذه العَجائِبَ. وإذا تَلا أحوالَ المُكَذِّبينَ فليَستَشعِرِ الخَوفَ مِنَ السَّطوةِ إن غَفَل عنِ امتِثالِ الأمرِ.

وليَتَخَلَّ التَّالي مِن مَوانِعِ الفَهمِ، مِثلُ: أن يُخَيِّلَ الشَّيطانُ إليه أنَّه ما حَقَّقَ تِلاوةَ الحَرفِ ولا أخرجه مِن مَخرَجِه، فيُكَرِّرُه التَّالي، فيَصرِفُ همَّتَه عن فهمِ المَعنى.

ومِن ذلك أن يَكونَ التَّالي مُصِرًّا على ذَنبٍ، أو مُتَّصِفًا بكِبرٍ، أو مُبتَلًى بهَوًى مُطاعٍ؛ فإنَّ ذلك سَبَبُ ظُلمةِ القَلبِ وصَداه، فهو كالجَرَبِ على المِرآةِ، يَمنَعُ مِن تَجَلِّي الحَقِّ، فالقَلبُ مِثلُ المِرآةِ، والشَّهَواتُ مِثلُ الصَّدَأِ، ومَعاني القُرآنِ مِثلُ الصُّوَرِ التي تَتَراءى في المِرآةِ، والرِّياضةُ للقَلبِ بإماطةِ الشَّهَواتِ مِثلُ الجَلاءِ للمِرآةِ.

وينبغي لتالي القُرآنِ أن يَعلَمَ أنَّه مَقصودٌ بخِطابِ القُرآنِ ووعيدِه، وأنَّ القِصَصَ لم يُرَدْ بها السَّمَرُ بَل العِبَرُ، فليَتَنَبَّهْ لذلك، فحينَئِذٍ يَتلو تِلاوةَ عَبدٍ كاتَبَه سَيِّدُه بمَقصودٍ.

وليَتَأمَّلِ الكِتابَ ويَعمَلْ بمُقتَضاه؛ فإنَّ مَثَلَ العاصي إذا قَرَأَ القُرآنَ وكَرَّرَه كَمَثَلِ مَن كَرَّرَ كِتابَ المَلِكِ وأعرَضَ عن عِمارةِ مَملكَتِه وما أمَرَ به في الكِتابِ؛ فهو مُقتَصِرٌ على دِراسَتِه، مُخالِفٌ أوامِرَه، فلو تَرَكَ الدِّراسةَ مَعَ المُخالفةِ كان أبعَدَ مِنَ الاستِهزاءِ واستِحقاقِ المَقتِ.

وينبغي أن يَتَبَرَّأَ مِن حَولِه وقوَّتِه، وألَّا يَلتَفِتَ إلى نَفسِه بعَينِ الرِّضا والتَّزكيةِ؛ فإنَّ مَن رَأى نَفسَه بصورةِ التَّقصيرِ كان ذلك سَبَبَ قُربِه ". اهـ **(مختصر منهاج القاصدين ص:٥١)**

الأدب الأول: الوقوف على فضائل القرآن، ليُقرأ بهمة ونشاط:

ومما يزيد الإنسان قوة وهمة ونشاطًا وإقبالًا على قراءة القرآن، أن يتعرف على فضائله والتي لا أستطيع أن أحصيها في هذا المقام، **ومنها:**

١- القرآن شفاء:

قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ (الإسراء:٨٢)

وأخرج البخاري عن عائشة-رضي الله عنها-:" أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث، فلما اشتد وجعه كنت أَقْرَأُ عليه وأمسح بيده رجاء بركتها ".

٢- القرآن سبب لنزول السكينة وغشيان الرحمة:

فقد أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" ما اجتمع قومٌ في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم؛ إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفَّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمَن عنده ".

٣- القرآن يُفرِّج الله به الهموم، ويُذْهِب به الغموم:

أخرج الإمام أحمد وابن حبان بسند صحيح صححه الألباني أن النبي ﷺ قال:" ما أصاب أحدًا قط همٌّ ولا حزنٌ، فقال: اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتي بيدك ماضٍ فيّ حكمك، عدلٌ فيّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك أو علَّمته أحدًا من خلقك أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همِّي؛ إلا أذهب الله همَّهُ وحزنه، وأبدله مكانه فرجًا. فقيل: يا رسول الله، ألا نتعلَّمها، فقال: بلى. ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها ".

٤- القرآن نورٌ للعبد في الدنيا وذخرًا له في الآخرة:

فقد أخرج ابن حبان والبيهقي في" شعب الإيمان" من حديث أبي ذر الغفاري ﷺ قال:" قلت: يا رسول الله! أوصني، فقال ﷺ:" أُوصيكَ بتقوى اللهِ؛ فإنها رأسُ الأمرِ كلِّه قلتُ: يا رسولَ اللهِ! زِدْنِي. قال:" عليك بتلاوةِ القرآنِ، وذِكرِ اللهِ؛ فإنَّهُ نورٌ لك في الأرضِ، وذخرٌ لك في السماءِ... ". الحديث

(صحيح الترغيب والترهيب: ٢٢٣٣) (الصحيحة: ٥٥٥)

٥- القرآن يتحصل به العبد على جبال من الحسنات:

فقد أخرج الترمذي عن عبد الله بن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال:" منْ قرأَ حرفًا من كتابِ اللهِ فله به حسنةٌ، والحسنةُ بعشرِ أمثالِها لا أقولُ آلم حرفٌ، ولَكِن ألِفٌ حرفٌ، ولامٌ حرفٌ، وميمٌ حرفٌ ".

(صحيح الترمذي: ٢٩١٠) (صحيح الجامع: ٦٤٦٩)

٦- القرآن سبب لزيادة الإيمان:

فمَن أراد زيادة الإيمان يومًا بعد يوم فعليه بكتاب الله، **فقد قال تعالى:** ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ (الأنفال: ٢)

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (التوبة: ١٢٤)

وفي" نزهة الفضلاء: ١/ ٣٨٣" يقول جندب ﷺ: **" كنا غلمانًا حزاورة[١] مع رسول الله ﷺ، فتعلَّمنا الإيمان قبل أن نتعلَّم القرآن ثم تعلَّمنا القرآن فازددنا به إيمانًا ".**

٧- القرآن سبب في ألا يكتب المرء من الغافلين:

فقد أخرج الحاكم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" مَن قرأ عشر آيات في ليلة لم يكتب من الغافلين، ولو قرأ مائة آية كُتِبَ من القانتين ".**

فقد أخرج الحاكم أيضًا عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" مَن حافظ على هؤلاء الصلوات المكتوبات لم يُكْتَب من الغافلين، ومَن قرأ في ليلة مائة آية كتب من القانتين ".**

٨- القرآن خير من الدنيا وما فيها:

إذا فرح أهل الدنيا بدنياهم، وأهل المناصب بمناصبهم، وأهل الأموال بأموالهم، فجدير أن يفرح حامل القرآن بكلام الله الذي لا توازيه الدنيا بكل ما فيها من متاع زائل.

أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" أيحبُّ أحدُكم إذا رجع إلى أهله أن يجد فيه ثلاث خلفات عظام سمان؟ قلنا: نعم. قال: فثلاث آيات يقرأ بهن أحدكُم في صلاته خير له من ثلاث خلفات عظام سمان ".**

وأخرج مسلم عن عقبة بن عامر ﷺ قال: **" خرج رسول الله ﷺ ونحن في الصفة، فقال: أيكم يحبُّ أن يغدو كل يوم إلى بُطْحَانَ[٢] أو إلى العقيق، فيأتي منه بناقتين كَوْمَاوَيْنِ[٣] في غير إثم ولا قطع رحم؟ فقلنا: يا رسول الله! كلنا يحب ذلك، قال: أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعْلمُ أو فيقرأُ آيتين من كتاب الله ﷻ خيرٌ له من ناقتين، وثلاثٌ خيرٌ من ثلاث، وأربعٌ خيرٌ من أربع ومن أعْدادِهن من الإبل ".**

٩- القرآن من أعظم أنواع التجارة مع الله:

كما مر بنا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ (٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (فاطر: ٢٩، ٣٠)

١- الحزاورة: جمع حزور، وهو الغلام إذا قارب البلوغ.
٢- بُطْحَانَ: موضع بالمدينة.
٣- الكَوْمَاءُ: هي العظيمة السنام من الإبل.

١٠- القرآن يفتح أبواب الخير الكثيرة:

فقد أخرج الترمذي عن أنس ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: " مَن قرأ " قل يا أيها الكافرون"؛ عدلت له بربع القرآن، ومَن قرأ "قل هو الله أحد" عدلت له بثلث القرآن ". (صحيح الجامع: ٦٤٦٦)

وفي "صحيح البخاري ومسلم" أن النبي ﷺ قال: " من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه".

وأخرج الإمام أحمد والنسائي أن النبي ﷺ قال: " مَن قرأ بمائة آية في ليلة كتب له قنوت ليلة ".

(صحيح الجامع: ٦٤٦٨)

وأخرج أحمد عن معاذ بن أنس أن النبي ﷺ قال: " مَن قرأ:" قل هو الله أحد"؛ حتى يختمها عشر مرات بنى الله له بيتًا في الجَنَّة ". (صحيح الجامع: ٦٤٧٢)

١١- القرآن يجعل المرء من خير الناس:

فقد أخرج البخاري أن النبي ﷺ قال: " خيرُكُم مَن تعلَّم القرآن وعلمه ".

١٢- القرآن يجعل الإنسان لا يُرَدُّ إلى أرذل العمر:

فقد أخرج الحاكم عن ابن عباس-رضي الله عنهما-: " مَن قرأ القرآن لم يُرد إلى أرذل العمر، وذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٥) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ (التين:٥-٦)، قال: الذين قرؤوا القرآن ".

١٣- القرآن سبب لمحبة الله تعالى للعبد:

فقد أخرج الإمام مسلم عن عائشة-رضي الله عنها-: " أن رسول الله ﷺ بعث رجلًا على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بـ " قل هو الله أحد" فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟ فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن: فأنا أحب أن أَقْرَأُ بها، فقال رسول الله ﷺ: أخبروه أن الله يحبه ".

- فإذا أحبك الله أصبحت في معيته الخاصة وصرت من أهله وخاصته.

أخرج النسائي وابن ماجه عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " لله من الناس أهلون، قالوا: مَن هم يا رسول الله؟ قال: أهل القرآن هم أهل الله وخاصته ". (صحيح ابن ماجه: ١٧٨)

فإذا كان أهل القرآن كذلك فإن الله ﷻ يكرمهم.

أخي الحبيب... إن قراءتك في المصحف سببٌ لمحبتك لله ورسوله ﷺ.

فقد أخرج البيهقي وأبو نعيم عن النبي ﷺ: " مَن سرَّه أن يُحبَّ الله ورسوله؛ فليقرأ في المصحف ".

(الصحيحة: ٢٣٤٢)

١٤- القرآن سبب لحفظ الإنسان من فتنة الدجال:

فقد أخرج الإمام مسلم أن النبي ﷺ قال: " مَن حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عُصِمَ من الدجال".

١٥- حفظ القرآن سبب لرحمة الآباء:

فقد أخرج الحاكم عن بريدة الأسلمي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " مَن قرأ القرآن وتعلَّمه وعمِل به أُلْبِس والداه يوم القيامة تاجًا من نور، ضوؤه مثل ضوء الشمس، ويُكسى والداه حُلَّتَين لا تقوم لهما الدنيا، فيقولان: بما كُسِينا هذا؟ فيقال: بأخذ ولدِكُما القرآن ".

١٦- القرآن سبب للحفظ من الزيغ والضلال:

فقد أخرج الحاكم والترمذي عن ابن عباس-رضي الله عنهما-: " أن النبي ﷺ خطب الناس في حجة الوداع، فقال: إن الشيطان قد يئس أن يُعْبَد في أرضكم، ولكن يرضى أن يطاع فيما سوى ذلك ممَّا تحقِّرون من أعمالكم فاحذروا، إني تركت فيكم ما إن تمسكتم به فلن تضلوا أبدًا كتاب الله وسنة نبيه ".

(الصحيحة)

١٧- القرآن سبب للنجاة من فتنة القبر:

فقد أخرج ابن مردويه عن ابن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال: " سورة تبارك هي المانعة من عذاب القبر".

(صحيح الجامع: ٣٦٤٣)

وأخرج الحاكم بسند حسن عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: " يؤتى الرجلُ في قبره فيؤتَى من قِبل رجلاه، فتقول رجلاه: ليس لكم على ما قِبلي سبيل كان يقرأ في سورة الملك، ثم يؤتى من قِبَل صدره - أو قال: بطنه - فيقول: ليس لكم على ما قِبلي سبيل كان يقرأ سورة الملك، ثم يؤتى من قِبل رأسه فيقول: ليس لكم على ما قِبلي سبيل كان يقرأ في سورة الملك فهي المانعة تمنع عذاب القبر، وهي في التوراة سورة الملك مَن قرأها في ليلةٍ فقد أكثر وأطيب ".

وأخرج البخاري عن سمرة بن جندب ﷺ قال: " أن النبي ﷺ كان إذا صلَّى صلاة - وفى لفظ: صلاة الغداة - أقبل علينا بوجهه، فقال: مَن رأى منكم الليلة رؤيا؟ قال: فإن رأى أحد (رؤيا) قصَّها، فيقول: ما شاء الله، فسألنا يومًا فقال: هل رأى أحد منكم رؤيا؟ قلنا: لا. قال: لكن رأيت الليلة رجلين أتياني (فساق الحديث وفيه) فانطلقت حتى أتينا على رجل مضجع، وإذا آخر قائم عليه بصخرة، وإذا هو يهوي بالصخرة لرأسه فيثلغ رأسه فيتدهده الحجر هاهنا فيتبع الحجر فيأخذه فلا يرجع إلى الرجل حتى يصبح رأسه كما كان، ثم يعود عليه، فيفعل به مثل ما فعل به المرة الأولى، فقلت: سبحان الله! ما هذا؟ فقالا لي انطلق - فذكر الحديث وفيه... أما الرجل الذي أتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر فهو رجل يأخذ القرآن فيرفضه، وينام عن الصلاة المكتوبة ".

١٨- القرآن يستقبل صاحبه عند خروجه من القبر:

فقد أخرج الإمام أحمد بسند حسن عن بريدة ﷺ قال: " كنت جالسًا عند النبي ﷺ فسمعته يقول: تعلَّموا سورة البقرة فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة، قال: ثم مكث ساعة، ثم قال: تعلَّموا سورة البقرة وآل عمران فإنهما الزهراوان، يظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف، وإن القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب، فيقول له: هل تعرفني؟ فيقول: ما أعرفك، فيقول: أنا صاحبك، القرآن الذي أظمأتك في الهواجر وأسهرت ليلك، وإن كل تاجر من وراء تجارته وإنك اليوم من وراء كل تجارة، فيعطى الملك بيمينه والخلد بشماله، ويوضع على رأسه تاج الوقار، ويُكسى والده حُلَّتَين لا يقوم لهما أهل الدنيا فيقولان: بما كُسِينا هذه، فيقال: بأخذ ولدِكُما القرآن، ثم يقال له: اقْرَأْ واصعد في درج الجَنَّة وغرفها، فهو في صعود مادام يقرأ هذًّا كان أو ترتيلًا ".

١٩- القرآن سبب للنجاة من عذاب النار:

فالعبد يسعى بكل ما يستطيع لكي ينجو من عذاب النار، وقد كتب الله ﷻ لمَن حفظ القرآن ابتغاء وجهه ألا تحرقه النار.

فقد أخرج البيهقي عن عصمة بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ قال: " لو جمع القرآن في إهابٍ ما أحرقه الله بالنار".

وأخرج الدارمي عن عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: " اقرءوا القرآن فإن الله تعالى لا يعذب قلبًا وعى القرآن، وإن هذا القرآن مأدبة الله، فمَن دخل فيه فهو آمن، ومن أحبَّ القرآن فليبشر".

٢٠- القرآن يشفع لصاحبه يوم القيامة:

أخرج ابن حبان عن جابر ﷺ عن النبي ﷺ قال: " القرآن شافعٌ مُشَفَّعٌ وماحلٌ[١] مُصَدَّقٌ، مَن جعله أمامه قاده إلى الجَنَّة، ومَن جعله خلف ظهرِه ساقه إلى النار". (صحيح الجامع: ٤٤٤٣)

وقد مر بنا الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد والطبراني في الكبير عن عبد الله بن عمرو-رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال: " الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي ربِّ منعته الطعام والشهوة، فشفعني فيه، ويقول القرآن: رب منعته النوم بالليل، فشفعني فيه قال:" فيشفعان [٢]".

(صحيح الترغيب والترهيب: ٩٨٤) (صحيح الجامع: ٣٨٨٢)

قال الألباني-رحمه الله-: أي: يشفِّعهما الله تعالى فيه ويدخله الجنة.

١- ماحلٌ: ساعٍ، وقيل: خصم مجادل.

٢- فيشفعان: أي يطلبان من الله المغفرة والرضوان، ودخول الجنة.

٢١- القرآن سبب لدخول الجَنَّة:

أخرج الطبراني في "الأوسط" عن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: " سورة من القرآن ما هي إلا ثلاثون آية خاصمت عن صاحبها حتى أدخلته الجَنَّة وهى تبارك ".

٢٢- القرآن يرتقي بصاحبه في أعلى درجات الجَنَّة:

الإنسان يرتقي في الجنة بقدر حفظه للقرآن.

فقد أخرج الترمذي وأحمد عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: " يَجيءُ القرآنُ يومَ القيامةِ فيَقولُ: يا ربِّ حلِّهِ، فَيلبسُ تاجَ الكَرامةِ، ثمَّ يقولُ: يا رَبِّ زِدهُ، فيلبسُ حلَّةَ الكرامةِ، ثمَّ يقولُ: يا ربِّ ارضَ عنهُ، فيقالُ لَهُ: اقرأْ وارْقَ، وتزادُ بِكُلِّ آيةٍ حسنةً ". (صحيح الترمذي: ٢٩١٥) (صحيح الجامع: ٣٠ ٨)

فقد أخرج أبو داود والترمذي عن عبد الله بن عمرو-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: " يقال لصاحب القرآن: اقرأْ وارْقَ ورتِّل كما كنت تُرتل في الدنيا، فإن منزلكَ عند آخر آية تقرؤها ".

(الصحيحة: ٣٢٤٠)

قال ابن حجر الهيتمي-رحمه الله- كما في "الفتاوى الحديثية ص:١٥٦": " الخبر المذكور خاص بمن يحفظه عن ظهر قلب، لا بمن يقرأ بالمصحف، لأن مجرد القراءة في الخط لا يختلف الناس فيها ولا يتفاوتون قلة وكثرة، وإنما الذي يتفاوتون فيه كذلك هو الحفظ عن ظهر قلب، فلهذا تفاوتت منازلهم في الجَنَّة بحسب تفاوت حِفْظِهم ".

قال أبو سليمان الخطابي-رحمه الله- في "معالم السنن": " جاء في الأثر أن عدد آي القرآن على قدر درج الجَنَّة، فيقال للقارئ: "**ارْقَ في الدَّرج على قدر ما كنت تقرأ في آي القرآن**". فمن استوفى جميع القرآن استولى على أقصى درج الجَنَّة في الآخرة، ومَن قرأ جزءًا منه كان رقِيُّه في الدرج على قدر ذلك؛ فيكون منتهى الثواب عند منتهى القراءة ".

٢٣- حفظ القرآن وإتقانه يجعل الإنسان في أعلى الجنان مع السفرة الكرام:

فحين يفتخر أهل الدنيا بانتسابهم إلى العظماء والوجهاء والأغنياء، فإن حافظ القرآن يفتخر بأنه سيكون مع السفرة الكرام البررة الذين اختارهم الله عز جل، وشرَّفَهم بأن تكون بأيديهم الصحف المطهرة، **كما قال رب العالمين في كتابه الكريم:** ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ (١٣) مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ (١٤) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ (عبس: ١٣-١٥)

فقد أخرج البخاري ومسلم عن عائشة-رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ: " الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن وَيَتَتَعْتَعُ فيه وهو عليه شاق له أجران ".

وبعد هذا الشرف والتكريم الذي ناله أهل القرآن يتضح لنا قول الحبيب المصطفى ﷺ، الثابت في صحيح البخاري ومسلم عن ابن عمر-رضي الله عنهما- أنه ﷺ قال:" لا حسد إلا على اثنتين: رجل آتاه الله الكتاب وقام به آناء الليل، ورجل آتاه الله مالًا فهو يَتَصَدَّق به آناء الليل وآناء النهار".

وفي" صحيح البخاري" عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:" لا حسد إلا في اثنتين: رجلٌ علَّمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، فسمعه جارٌ له فقال: يا ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثلما يعمل، ورجل آتاه الله مالًا فهو يهلكه في الحق، فقال رجلٌ: يا ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثلما يعمل ".

كلام السلف عن القرآن وأهله:

١ – قال عثمان بن عفان ﷺ:" لو طَهُرَتْ قلوبكم ما شبعتم من كلام ربكم ".

(رواه الإمام أحمد في زوائد الزهد ص:١٢٨) (حلية الأولياء: ٣٠٠/٧)

٢ – وقال عبد الله ابن مسعود ﷺ:" من أراد أن يعلم أنه يحب الله فليعرض نفسه على القرآن، فإن أحب القرآن فهو يحب الله، فإنما القرآن كلام الله جل جلاله ".

– وقال ﷺ أيضًا:" من أحب القرآن فهو يحب الله ورسوله ".

(رواه الطبراني في الكبير وقال الهيثمي في مجمع الزوائد:٦٥/٧"رجال ثقات)

٣ – وقال خبَّاب بن الأرت ﷺ:" تقرَّب إلى الله ما استطعت، واعلم أنك لن تتقرب بشيء أحب إليه من كلامه ". (رواه الحاكم وأبو نعيم في حلية الأولياء:١٩٩/٩)

٤– وقال أبو هريرة ﷺ:" إن البيتَ ليتسعُ على أهله، وتحضره الملائكةُ، وتهجره الشياطين، ويكثر خيره أن يُقرأَ فيه القرآنُ، وأن البيت ليضيق على أهله، وتهجره الملائكة، وتحضره الشياطين، ويقل خيره أن لا يقرأ فيه القرآن ". (إحياء علوم الدين:٢٧٣/١)

٥ – وقال أبو سعيد الخدري ﷺ:" عليك بتقوى الله فإنه رأس كل شيء، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام، وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن؛ فإنه روحك في أهل السماء، وذكرك في أهل الأرض، وعليك بالصمت إلا في حق، فإنك تغلبُ الشيطان ". (نزهة الفضلاء: ٢٤٨/١)

٦ – وسئلت أسماء بنت أبي بكر-رضى الله عنها-: كيف كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا سمعوا القرآن؟ قالت:" كانت تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم كما نعتهم الله ﷻ فقال: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ ". (الزمر:٢٣)

٧- ***وقال ابن عباس-رضي الله عنهما-:*** " ضمن الله ﷻ لمن قرأ القرآن واتبع ما فيه، هداه الله من الضلالة، ووقاه سوء الحساب، ذلك بأن الله تعالى يقول: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى(١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ ". (طه: ١٢٣،١٢٤)

٨- ***وقال وهيب بن الورد-رحمه الله-:*** " قيل لرجل ألا تنام؟! قال:" إن عجائب القرآن أطرن نومي ".

٩- ***وقال أحمد بن الحواري-رحمه الله-:*** " إني لأقرأُ القرآنَ وأنظرُ في آية فيحير عقلي بها، وأعجب من حُفَّاظ القرآن كيف يهنيهم النومُ، ويسعهم أن يشتغلوا بشيءٍ من الدنيا وهم يتلون كلام الله، أما إنهم لو فهموا ما يتلون، وعرفوا حقه وتلذذوا به واستحلوا المناجاة به لذهب عنهم النوم فرحًا بما رزقوا ".

(لطائف المعارف ص:٢٤٨)

وأنشد ذو النون المصري:

منـــع القـرآنُ بـــوعدهِ ووعيدِه ... مُـقَلَ العيـونِ بليلها لا تَهْجَعُ

فهموا عن الملك الكريم كلامَه ... فهمًا تذلُّ له الرقابُ وتخضعُ

(لطائف المعارف ص:٢٤٨)

١٠- ***وقال مالك بن دينار-رحمه الله-:*** " إن الصديقين إذا تُلِيَتْ عليهم آياتُ الرحمنِ طربت قلوبُهم واشتاقت إلى ما عنده ثم يقول: اسمعوا إلى ما يقول الملك سبحانه من فوق عرشه، ثم يبدأ في التلاوة ".

١١- ***وقال الفضيل بن عياض -رحمه الله-:*** " كفى بالله مُحِبًا، وبالقرآن مُؤنِسًا، وبالموت واعظًا، اتَّخذ اللهَ صاحبًا، ودع الناس جانبًا ". ***وقال أيضًا:*** " من لم يستأنسْ بالقرآن فلا آنسَ اللهُ وحشتَه ".

١٢- ***وقيل لذي النون-رحمه الله-:*** " ما الأنس بالله؟! قال: العلم والقرآن ".

١٣- ***وقال كعب الأحبار-رحمه الله-:*** " عليكم بالقرآن؛ فإنه فهم العقل، ونور الحكمة، وينابيع العلم، وأحدث الكتب عهدًا بالرحمن ". (حلية الأولياء: ٣٧٦/٥)

١٤- ***وقال محمد بن واسع-رحمه الله-:*** " القرآنُ بستان العارفين، فأينما حلُّو منه، حلُّوا في رياض نضرة".

(حلية الأولياء:٣٤٧/٢)

١٥- ***وقال عبد الله بن عمير-رحمه الله-:*** " كان يُقال أنقى الناس عقولًا قُرَّاء القرآنِ ".

١٦- ***قال وهيب بن الورد -رحمه الله-:*** " نظرنا في هذه الأحاديث والمواعظ فلم نجد شيئا أرق للقلوب، ولا أشد استجلابًا للحزن من قراءة القرآن وتفهمه وتدبره ".

١٧- ***وقيل لبعضهم:*** " إذا قرأت القرآن تحدث نفسك بشيء؟ فقال: أو شيء أحب إلي من القرآن حتى أحدثَ به نفسي؟!".

فهيا نقبل على القرآن قراءة وتدبرًا وعملًا، وهذه بعض الآداب لقراءة القرآن ليكتمل الفضل ويعظم الأجر:

الأدب الثاني: الاعتقاد اليقيني أن القرآن الكريم هو كلام الله تعالى، تكلم به على الحقيقة، وهو صفة من صفاته:

وبدأت بهذا الأدب للتمايز والمفارقة بين أهل السنة في هذه المسألة، وغيرهم من الفرق. فالقرآن كلام الله تعالى على الحقيقة، نزل به جبريل الأمين على النبي محمد ﷺ، تكلم به ربنا حقيقة وليس كلامًا نفسانيًا كما يزعم البعض، **قال تعالى:** ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كلام الله﴾ (التوبة:٦)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-: " الصواب في مثل هذا أن يقال: الكلام صفة المتكلم، والقول صفة القائل، وكلام الله ليس بائنًا منه؛ بل أسمعه لجبريل، ونزل به على محمد ﷺ **كما قال تعالى:** ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾. ولا يجوز أن يقال: إن كلام الله فارق ذاته، وانتقل إلى غيره. بل يقال كما قال السلف: إنه كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود. فقولهم:" منه بدأ" رد على من قال: إنه مخلوق في بعض الأجسام، ومن ذلك المخلوق ابتدأ. فبينوا أن الله هو المتكلم به" **منه بدأ**" لا من بعض المخلوقات." **وإليه يعود**" أي فلا يبقى في الصدور منه آية ولا في المصاحف حرف. وأما القرآن فهو كلام الله ". اهـ

وقال في موضع آخر: " وليس معنى قول السلف والأئمة: إنه منه خرج، ومنه بدأ، أنه فارق ذاته، وحل بغيره؛ فإن كلام المخلوق إذ تكلم به لا يفارق ذاته، ويحل بغيره، فكيف يكون كلام الله؟ قال تعالى: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ فقد أخبر أن الكلمة تخرج من أفواههم، ومع هذا فلم تفارق ذاتهم، وأيضًا فالصفة لا تفارق الموصوف، وتحل بغيره، لا صفة الخالق، ولا صفة المخلوق، والناس إذا سمعوا كلام النبي ﷺ، ثم بلغوه عنه، كان الكلام الذي بلغوه، كلام رسول الله ﷺ، وقد بلغوه بحركاتهم، وأصواتهم، فالقرآن أولى بذلك، فالكلام كلام الباري سبحانه، والصوت صوت القارئ؛ **قال تعالى:** ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كلام الله﴾ **وقال** ﷺ:" **زينوا القرآن بأصواتكم** ". اهـ

وقال أيضًا في موضع آخر: وكلام الله ثابت في مصاحف المسلمين، لا كلام غيره، فمن قال: إن الذي في المصحف ليس كلام الله، بل كلام غيره، فهو ملحد، مارق، ومن زعم أن كلام الله فارق ذاته، وانتقل إلى غيره، كما كتب في المصاحف، وأن المراد قديم أزلي، فهو أيضًا مارق، بل كلام المخلوقين يكتب في الأوراق، وهو لم يفارق ذواتهم، فكيف لا يعقل مثل هذا في كلام الله تعالى ". اهـ

وقال ابن عثيمين-رحمه الله- في شرح العقيدة الواسطية: " القرآن كلام الله، والكلام ليس عينًا قائمة بنفسها حتى يكون بائنًا من الله، ولو كان عينًا قائمة بنفسها بائنة من الله؛ لقلنا: إنه مخلوق، لكن الكلام صفة للمتكلم به، فإذا كان صفة للمتكلم به، وكان من الله؛ كان غير مخلوق؛ لأن صفات الله عز وجل كلها غير مخلوقة. اهـ

الأدب الثالث: تعظيمُ القرآنِ وتنزيهُه:

وقد علمنا في الأدب الأول أن القرآن هو كلام الله تعالى، لذا يجدر بقارئ القرآن أنْ يُراعيَ أثناء تلاوته ما يتناسب وعظمةَ القرآن وجلاله، فيستشعر أنَّه يُناجي الله تعالى، وأنَّ الله يُناجيه، ويجتنب كلَّ ما من شأنه أن يُخِلَّ بأدب المناجاة.

قال النَّوويُّ-رحمه الله-: " أَجْمَعَ المُسْلِمُوْنَ عَلَى وُجُوْبِ تَعْظِيْمِ القُرْآنِ عَلَى الإِطْلَاقِ وَتَنْزِيْهِهِ وَصِيَانَتِهِ ".

(المجموع:٢/٨٤) (التبيان في آداب حملة القرآن ص: ١٦٤)

وقال النَّوويُّ أيضًا: " مِمَّا يُعتَنى به ويَتَأكَّدُ الأمرُ به: احترامُ القُرآنِ مِن أُمورٍ قد يَتَساهَلُ فيها بَعضُ الغافِلينَ القارِئينَ المُجتَمِعينَ. فمِن ذلك: اجتِنابُ الضَّحِكِ واللَّغَطِ والحَديثِ في خِلالِ القِراءةِ إلَّا كَلامًا يُضطَرُّ إليه، وليَمتَثِلْ قَولَ اللهِ تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الأعراف: ٢٠٤).

وقد أخرج البخاري عن ابنِ عُمَرَ-رَضيَ اللهُ عنهما- أنَّه كان إذا قَرَأَ القُرآنَ لا يَتَكَلَّمُ حَتَّى يَفرُغَ مِنه.

ومِن ذلك: العَبَثُ باليَدِ وغَيرِها؛ فإنَّه يُناجي رَبَّه سُبحانَه وتعالى، فلا يَعبَثْ بَينَ يَدَيه. ومِن ذلك: النَّظَرُ إلى ما يُلهي ويُبَدِّدُ الذِّهنَ. وأقبَحُ مِن هذا كُلِّه: النَّظَرُ إلى ما لا يَجوزُ النَّظَرُ إليه... وعَلى الحاضِرينَ مَجلِسَ القِراءةِ إذا رَأَوا شَيئًا مِن هذه المُنكَراتِ المَذكورةِ أو غَيرِها أن يَنهَوا عنه حَسَبَ الإمكانِ؛ باليَدِ لمَن قَدَرَ، وباللِّسانِ لمَن عَجَزَ عنِ اليَدِ وقدَرَ على اللِّسانِ، وإلَّا فليُنكِرْ بقَلبِه، واللهُ أعلَمُ ". **(المصدر السابق ص: ٩٢-٩٦)**

ومن تعظيمُ القرآنِ وتنزيهه: عدم مد الرِّجل إلى المصحف:

ومد الرِّجل إلى المصحف فيه نوع من إساءة الأدب.

لذلك ذهب جماعة من العلماء إلى كراهة هذا الفعل، ومنهم من ذهب إلى تحريمه.

قال في" البحر الرائق[1]:٢/٣٦ ": " يكره أن يمد رجليه في النوم وغيره إلى المصحف أو كتب الفقه إلا أن تكون على مكان مرتفع عن المحاذاة ". اهـ باختصار

وقال في" الإقناع[2]:١/١٢٦": " ويكره مد الرجلين إلى جهة المصحف، وفي معناه: استدباره وتخطيه ". اهـ

وقال ابن مفلح-رحمه الله- في" الآداب الشرعية:٢/٢٨٥": " ويكره توسد المصحف... واختار ابن حمدان التحريم وقطع به في المغني، وكذا سائر كتب العلم إن كان فيها قرآن، وإلا كره فقط. ويقرب من ذلك: مد الرجلين إلى شيء من ذلك. وقال الحنفية: يكره، وفيها إساءة الأدب؛ لما فيه من أسماء الله تعالى ". اهـ باختصار

وذهب بعض الشافعية أيضاً إلى التحريم، كما في" تحفة المحتاج:١/١٥٥".

١- وهو من كتب المذهب الحنفي.
٢- وهو من كتب المذهب الحنبلي.

وسئل الشيخ ابن عثيمين-رحمه الله-: توضع المصاحف في المساجد على حوامل، فبعض الناس يجلس ويمد رجليه، وقد تصادف أن تكون إلى جهة هذه الحوامل، وتكون قريبة منها، أو تحتها، فإذا كان الجالس لا يقصد إهانة المصحف، فهل يلزمه كف رجليه عن هذه المصاحف؟ أو يغير مكان المصاحف؟ وهل ننكر على من فعل ذلك؟

فأجاب-*رحمه الله*-:" لا شك أن تعظيم كتاب الله عز وجل من كمال الإيمان، وكمال تعظيم الإنسان لربه تبارك وتعالى. ومد الرجل إلى المصحف أو إلى الحوامل التي فيها المصاحف أو الجلوس على كرسي أو طاولة تحتها مصحف ينافي كمال التعظيم لكلام الله عز وجل، ولهذا قال أهل العلم: إنه يكره للإنسان أن يمد رجله إلى المصحف؛ هذا مع سلامة النية والقصد، أما لو أراد الإنسان إهانة كلام الله فإنه كفر؛ لأن القرآن الكريم كلام الله تعالى، وإذا رأيتم أحداً قد مد رجليه إلى المصحف سواء كان على حامل أو على الأرض، أو رأيتم أحداً جالساً على شيء وتحته مصحف فأزيلوا المصحف عن أمام رجليه، أو عن الكرسي الذي هو جالس عليه، أو قولوا له: لا تمد رجليك إلى المصحف، احترم كلام الله عز وجل. والدليل: ما ذكرتُه من أن ذلك ينافي كمال التعظيم لكلام الله، ولهذا لو أن رجلا محترماً عندك أمامك ما استطعت أن تمد رجليك إليه تعظيماً له، فكتاب الله أولى بالتعظيم". اهـ (مجموع فتاوى ابن عثيمين- المجلد الثالث)

ومن تعظيمُ القرآنِ وتنزيهه: عدم وضعه على الأرض، وصيانته من الامتهان:

قال الإمام الحكيم الترمذي-رحمه الله-:" وَمِنْ تَعْظِيمِهِ: إِذَا وَضَعَ الْمُصْحَفَ أَلَّا يَتْرُكَهُ مَنْشُورًا، وَأَلَّا يَضَعَ فَوْقَهُ شَيْئًا مِنَ الْكُتُبِ حَتَّى يَكُونَ أَبَدًا عَالِيًا لِسَائِرِ الْكُتُبِ، عِلْمًا كَانَ أَوْ غَيْرَهُ، وَمِنْ حُرْمَتِهِ أَنْ يَضَعَهُ فِي حِجْرِهِ إِذَا قَرَأَهُ أَوْ عَلَى شَيْءٍ بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَا يَضَعَهُ بِالْأَرْضِ ". (نوادر الأصول:٣/٢٥٤)

فمن تعظيم القرآن عدم وضعه على الأرض، ومما يدل على ذلك، **قوله تعالى:** ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (الحج:٣٢). وهذا دليل عام.

أما الدليل الخاص الذي يدل على عدم جواز وضع المصحف على الأرض، ما أخرجه أبو داود من حديث ابن عمر-رضي الله عنهما- قال: أتى نفر من يهود، فدعوا رسول اللهِ ﷺ إلى القف، فأتاهم في بيت المدارس، فقالوا: يا أبَا القاسم! إن رجلا منا زنى بِامرأة، فاحكم بينهم، فوضعوا لرسول اللهِ ﷺ وسادة، فجلس عليها، ثم قال ائتوني بِالتوراة، فأتي بها، فنزع الوسادة من تحته، فوضع التوراة عليها، ثم قال: آمنت بك وبمن أنزلك، ثم قال: ائتوني بأعلمكم. فأتي بفتى شاب- ثم ذكر قصة الرجم".

والشاهد من الحديث: أن الرسول ﷺ لم يضع التوراة على الأرض- مع ما فيها من تحريف- لكن وضعها على وسادة كان يجلس عليها، لما فيها من الصحيح، فكيف بالقرآن وهو كلام رب العالمين والذي تعهد بحفظه؟

تنبيه: ليس من تعظيم القرآن الكريم تَقبيلِه كما يفعل البعض.

قال ابنُ تَيميَّةَ-رحمه الله-: " القيامُ للمُصحَفِ وتَقبيلُه لا نَعلمُ فيه شَيئًا مَأثورًا عنِ السَّلفِ، وقد سُئِل الإمامُ أحمَدُ عن تَقبيلِ المُصحَفِ. فقال: ما سَمِعتُ فيه شَيئًا. **ولكِن رُويَ عن عِكرِمةَ بنِ أبي جَهلٍ: أنَّه كان يَفتَحُ المُصحَفَ ويَضَعُ وَجهَه عليه، ويَقولُ:** " كَلامُ رَبِّي، كَلامُ رَبِّي". (مجموع الفتاوى:٢٣/ ٦٥).

وسُئل الشيخ ابنُ بازٍ-رحمه الله-عن تَقبيلِ المُصحَفِ فقال: " هذا العَمَلُ ليسَ له أصلٌ، وتَركُه أحسَنُ؛ لأنَّه ليسَ عليه دَليلٌ، لكِن يُروى عن بَعضِ الصَّحابةِ أنَّه قَبَّل المُصحَفَ، وقال: هذا كَلامُ رَبِّي، ولا يَضُرُّ مَن فعَلَه، لكِن ليسَ عليه دَليلٌ، وتَركُه أَولى، ولم يَفعَلْه النَّبيُّ ﷺ، ولم يَثبُتْ عنِ الصَّحابةِ، إنَّما يُروى عن عِكرِمةَ، قد يَصِحُّ أو لا يَصحُّ، فالتَّركُ أَولى لعَدَمِ الدَّليلِ، المُهمُّ العَمَلُ به والتِّلاوةُ والإكثارُ مِنَ القِراءةِ والعَمَل، هذا المُهمُّ، وهذا الواجِبُ، فالإنسانُ عليه أن يُكثِرَ مِن قِراءةِ القُرآنِ، ويَتَدَبَّرَ ويَعمَلَ، هذا هو المَطلوبُ مِنه ". (مجموع فتاوى ابن باز:٢٤/ ٣٩٩).

وقال الشيخ ابنُ عُثَيمين-رحمه الله-: " فيما يُروى عن بَعضِ الصَّحابةِ أنَّهم كانوا يُقَبِّلونَه ويَضَعونَه على صُدورِهم، قال:" لا أظُنُّه يَصِحُّ عنِ الصَّحابةِ، هذا بِدعةٌ مُحدَثةٌ أخيرًا، والصَّوابُ أنَّها بدعةٌ وأنَّه لا يُقَبَّلُ، ولا شَيءَ مِنَ الجَماداتِ يُقَبَّلُ إلَّا شَيءٌ واحِدٌ، وهو الحَجَرُ الأسودُ، وغَيرُه لا يُقَبَّلُ، احتِرامُ المُصحَفِ حَقيقةً بألَّا تَمَسَّه إلَّا على طَهارةٍ، وأن تَعمَلَ بما فيه؛ تصديقًا للأخبارِ، وامتثالًا لأوامِرِه، واجتنابًا لنَواهيه ".

(لقاء الباب المفتوح- اللقاء رقم: ٢١٣)

الأدب الرابع: يستحب قراءة القرآن على طهارة:

فقد ذهب مالك والشافعي وأحمد وجماهير العلماء إلى أنه لا يجوز للمحدث أن يمس المصحف[1]، وغاية ما استدلوا به:

١- **قوله تعالى:** ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ (الواقعة:٧٩)

٢- **واستدلوا بالحديث الذي أخرجه الطبراني والدارقطني والبيهقي من حديث ابن عمر-رضي الله عنهما- *قال: قال رسول الله ﷺ:*** " لا يَمَسُّ القُرآنَ إلَّا طاهِرٌ". (وصححه الألباني في صحيح الجامع: ٧٧٨٠)

٣- **واستدلوا بالحديث الذي أخرجه الإمام أحمد وأبو داود واللفظ له والنسائي عنِ المُهاجِرِ بنِ قُنفُذٍ ﷺ أنَّه أتى النَّبيَّ ﷺ وهو يَبولُ، فسَلَّم عليه فلَم يَرُدَّ عليه حَتَّى تَوضَّأ، ثُمَّ اعتَذَرَ إليه فقال: إنِّي كَرِهتُ أن أذكُرَ اللَّهَ عَزَّ وجَلَّ إلَّا على طُهرٍ، أو قال: على طَهارةٍ ".**

فإذا كان يستحب الطهارة حال رد السلام أو الذكر فالقُرآنُ أولى لأنه أفضَلُ الذِّكرِ.

وقال قتادةُ-رحمه الله-: كان الحَسَنُ البَصريُّ يَكرَهُ أن يَقرَأَ أو يَذكُرَ اللَّهَ تعالى حَتَّى يَتَطَهَّرَ". (رواه أحمد)

١- (انظر المجموع:١٧/١) (الاستذكار:١٠/٨) (المغني:١٤/١) (الأوسط:١٠٢/٢)

لكن ذهب فريق آخر من أهل العلم إلى أنه يجوز مس المصحف من غير وضوء، وهذا ما ذهب إليه أبو حنيفة وداود وابن حزم وبه قال ابن عباس-رضي الله عنهما- وجماعة من السلف كسعيد بن المسيب وعكرمة واختاره الطبري وابن المنذر. ويجاب عما استدل به الفريق الأول بما يلي:

١- أما الآية الكريمة فلا يتم الاستدلال بها إلا بعد جعل الضمير في ﴿يَمَسُّهُ﴾ راجعًا إلى القرآن، والظاهر الذي عليه أكثر المفسرين أنه عائد على الكتاب المكنون الذي في السماء وهو اللوح المحفوظ والمطهرون هم الملائكة، ويشعر بهذا سياق الآيات الكريمة: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ(٧٨) لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ (الواقعة:٧٧-٧٩) ويتأيد هذا بقوله تعالى: ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ(١٣) مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ(١٤) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ(١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ (سورة عبس:١٣-١٦)

٢- وأما الحديث مع كونه صححه الألباني إلا أنه ضعيف لا يصلح للاحتجاج، لأنه من صحيفة غير مسموعة، وفي رجال إسناده خلاف شديد. وعلى فرض صحته، وأن الضمير في الآية عائد على القرآن، فنقول:" الطاهر" من المشتركات اللفظية، فيطلق على المؤمن، وعلى الطاهر من الحدث الأكبر، وعلى الطاهر من الحدث الأصغر، وعلى من ليس على بدنه نجاسة، فرجعت المسألة إلى المقرر فى الأصول:" اذا تطرق إلى الدليل الاحتمال سقط به الاستدلال". فمن أجاز حمل المشترك اللفظي على جميع معانيه حمله عليها هنا، لكن لما كان إطلاق اسم النجس على المؤمن المُحدِث أو الجنب لا يصح لا حقيقة ولا مجازًا ولا لغة، لقوله ﷺ:" **المؤمن لا ينجس**" (البخاري ومسلم) وثبت أن المؤمن طاهر دائمًا، امتنع أن يتناوله الآية والحديث، فيتعين حمل اللفظ على من ليس بمؤمن، **كما قال تعالى:** ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ (التوبة:٢٨). ومن قال: المشترك مجمل فيها فلا يعمل به حتى يُبيَّن، قال: لا حجة في الآية أو الحديث حتى ولو صدق اسم الطاهر على من ليس بمحدث حدثًا أكبر أو أصغر. (نيل الأوطار:١/٢٦٠ بتصرف)

قال ابن المنذر-رحمه الله- في الأوسط:٥/١٣٤": " واذا كان المسلم ليس ينجس فهو ظاهر كحالته قبل أن يجنب غير أنه مأمور بالاغتسال عبادة يعبد الله بها عباده، وكما أمر من خرج من دبره ريح أن يغسل أعضاء الوضوء وهو قبل أن يغسل أعضاء الوضوء طاهر الأعضاء غير أنه متعبد بالطهارة كما تعبد الجنب بالاغتسال ". اهـ

وقال النَّوويُّ-رحمه الله-: " يُستَحَبُّ أن يَقرَأَ وهو على طَهارةٍ، فإن قَرَأَ مُحدِثًا جاز بإجماعِ المُسلمينَ، والأحاديثُ فيه كَثيرةٌ مَعروفةٌ... والمُستَحاضةُ في الزَّمَنِ المَحكومِ بأنَّه طُهرٌ حُكمُها حُكمُ المُحدِثِ ".

(التبيان في آداب حملة القرآن، ص: ٧٣)

وقال الآجُرِّيُّ-رحمه الله-: " يَنبَغي للقارِئِ إذا كان يَقرَأُ فخَرَجَت مِنه ريحٌ أمسَكَ عنِ القِراءةِ حَتَّى تَنقَضيَ الرِّيحُ، ثُمَّ إن أحَبَّ أن يَتَوضَّأَ ثُمَّ يَقرَأَ طاهرًا فهو أفضَلُ، وإن قَرَأَ غَيرَ طاهرٍ فلا بَأسَ مِنه، وإذا تَثاءَبَ وهو يَقرَأُ أمسَكَ عنِ القِراءةِ حَتَّى يَنقَضيَ التَّثاؤُبُ... وأُحِبُّ للقارِئِ أن يَأخُذَ نَفسَه بسُجودِ القُرآنِ، كُلَّما مَرَّ بسَجدةٍ سَجَد فيها ". (أخلاق أهل القرآن ص: ١٤٥).

والخلاصة: أنه يجوز مس المصحف من غير وضوء، والأكمل والأفضل، أن يقرأ فيه على وضوء.

الأدب الخامس: يستحب أن يقرأ القرآن في مَكانٍ نَظيفٍ طاهرٍ[1]:

قال النَّوويُّ-رحمه الله-: " يُستَحَبُّ أن تَكونَ القِراءةُ في مَكانٍ نَظيفٍ مُختارٍ؛ ولهذا استَحَبَّ جَماعةٌ مِنَ العُلَماءِ القِراءةَ في المَسجِدِ؛ لكَونِه جامِعًا للنَّظافةِ وشَرَفِ البُقعةِ، ومُحَصِّلًا لفضيلةٍ أُخرى، وهيَ الاعتكافُ؛ فإنَّه يَنبَغي لكُلِّ جالسٍ في المَسجِدِ الاعتكافُ، سَواءٌ أكثَرَ في جُلوسِه أو أقَلَّ، بَل يَنبَغي أوَّلَ دُخولِه المَسجِدَ أن يَنويَ الاعتكافَ. وهذا الأدَبُ يَنبَغي أن يُعتَنى به ويُشاعَ ذِكرُه ويَعرِفَه الصِّغارُ والعَوامُّ؛ فإنَّه مِمَّا يُغفَلُ عنه ". (التبيان في آداب حملة القرآن ص: ٧٧) (فضائل القرآن لابن كثير ص: ٢٢٤)

وأخرج الإمام مسلم عن أنَسِ بنِ مالِكٍ ﷺ أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قال: " إنَّ هذه المَساجِدَ لا تَصلُحُ لشَيءٍ مِن هذا البَولِ ولا القَذَرِ، إنَّما هيَ لذِكرِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ، والصَّلاةِ، وقِراءةِ القُرآنِ ".

وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قال: " ما اجتمَعَ قومٌ في بيتٍ من بيوتِ اللَّهِ يتلونَ كتابَ اللَّهِ، ويتدارسونَهُ فيما بينَهم إلَّا نزلَت عليهِم السَّكينةُ، وغشِيَتهُمُ الرَّحمةُ، وحفَّتهُمُ الملائكَةُ، وذكرَهُمُ اللَّهُ فيمَن عندَهُ ".

الأدب السادس: يستحب استقبالُ القبلةِ عند قراءة القرآن:

أخرج الطبراني في" المعجم الأوسط" من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " إنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ سَيِّدًا، وَإِنَّ سَيِّدَ المَجَالِسِ[2] قُبَالَةَ الْقِبْلَةِ[3] ". (الصحيحة:٢٦٤٥)

وهذا توجيه نبوي كريم يبين فيه النبي ﷺ أن أشرف المجالس وأفضلها وأعظمها بركة هو ما كان مستقبلًا لجهة القبلة.

قال صاحب الفروع: " ويتجه في كل طاعة ".

قال الآجُرِّيُّ-رحمه الله-: " أُحِبُّ لمَن كان جالسًا يَقرَأُ أن يَستَقبِلَ بوَجهِه القِبلةَ إذا أمكَنَ ".

(أخلاق أهل القرآن ص: ١٤٦)

وقال الزَّمَخشَريُّ-رحمه الله-: " قالوا: أفضَلُ التِّلاوةِ على الوُضوءِ، والجُلوسِ شَطرَ القِبلةِ، وأن يَكونَ غَيرَ مُتَرَبِّعٍ ولا مُتَّكِئٍ ولا جالِسِ جِلسةَ مُتَكَبِّرٍ، ولَكِنْ نَحوَ ما يَجلِسُ بَينَ يَدَي مَن يَهابُه ويَحتَشِمُ مِنه ".

(ربيع الأبرار:٢/ ٢٦٢)

وكان أبو العاليةِ-رحمه الله- إذا قَرَأ اعتَمَّ، ولَبِسَ ثيابَه، وارتَدى، واستَقبَلَ القِبلةَ ".

(الجامع لأحكام القرآن للقرطبي:١/ ٢٧) (التذكار في أفضل الأذكار للقرطبي ص: ١٧٦)

---

١ ـ استفدت كثيرًا في الرسالة من موسوعة الآداب الشرعية.
٢ ـ سَيِّد المَجَالِس: أي أفضل المجالس.
٣ ـ قُبَالَة الْقِبْلَةِ: أي اتجاه القبلة.

الأدب السابع: يستحب أن يكونَ الفمُ طاهرًا نظيفًا عند قراءة القرآن:

لأنَّ الأفواهَ هي طَريقُ القُرآنِ، ومِن تَعظيمِه تَطهيرُ مَورِدِه. (فيض القدير للمناوي:٤/٢٨٤).

قال أبو عُبَيدٍ القاسِمُ بنُ سَلامٍ-رحمه الله-: " حُدِّثتُ عنِ الفَرَجِ بن فَضالةَ عن مُسافِرٍ قال: قال يَزيدَ بنَ أبي مالِكٍ:" إنَّ أفواهَكُم طُرُقٌ مِن طُرُقِ اللهِ تعالى، فنَظِّفوها ما استَطَعتُم. قال: فما أكَلتُ البَصَلَ مُنذُ قَرَأتُ القُرآنَ ". (فضائل القرآن للقاسم بن سلام ص: ١١٨)

قال سَعيدُ بنُ أبي عَروبةَ-رحمه الله-: سَمِعتُ قتادةَ يَقولُ: " ما أكَلتُ الكُرَّاثَ مُنذُ قَرَأتُ القُرآنَ".

(المصدر السابق)

- **ولطهارة الفم يستحب استخدام السواك عند قراءة القرآن:**

فقد أخرجه البخاري وأحمد والنسائي عن عائِشةَ-رَضيَ اللهُ عنها- عنِ النَّبيِّ ﷺ قال: " السِّواكُ مَطهَرةٌ للفَمِ، مَرضاةٌ للرَّبِّ ".

وأخرج البيهقي في" شعب الإيمان" من حديث سَمُرَةَ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " طيِّبوا أفْواهكُم بالسِّواك؛ فإنَّها طُرُقُ القُرآنِ ". (صحيح الجامع:٣٩٣٩)

- ***وفي رواية:*** " طيِّبوا أفْواهكُم؛ فإنَّ أفواهَكُم طريقُ القرآنِ ". (صحيح الجامع:٣٩٤٠)

وأخرجه ابنُ ماجَه عن عليِّ بنِ أبي طالبٍ ﷺ قال: " إنَّ أَفْوَاهَكُمْ طُرُقٌ لِلْقُرْآنِ، فَطَيِّبُوهَا بِالسِّوَاكِ ".

(الصحيحة:١٢١٣)

وأخرج البيهقي في" شعب الإيمان" من حديث جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " إذا قامَ أحدُكُمْ يصلِّي مِنَ الليلِ، فَلْيَسْتَكْ، فإنَّ أحدَكُمْ إذا قرأَ في صلاتِهِ، وضعَ مَلَكٌ فَاهُ على فيهِ، ولا يخرجُ من فيهِ شيءٌ[1] إلَّا دخلَ فَمَ المَلَكِ ". (صحيح الجامع: ٧٢٠)

أخرجه البزار في" مسنده" بلفظ: " إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا تَسَوَّكَ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي قَامَ الْمَلَكُ خَلْفَهُ، فَتَسَمَّعَ لِقِرَاءَتِهِ فَيَدْنُو مِنْهُ - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا - حَتَّى يَضَعَ فَاهُ عَلَى فِيهِ، فَمَا يَخْرُجُ مِنْ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ، إِلَّا صَارَ فِي جَوْفِ الْمَلَكِ، فَطَهِّرُوا أَفْوَاهَكُمْ لِلْقُرْآنِ[2]".

قال أبو بَكرٍ الآجُرِّيُّ-رحمه الله-: " فلا يَنبَغي لَكُم يا أهلَ القُرآنِ أن تُباعِدوا مِنكُمُ المَلَكَ، استَعمِلوا الأدَبَ، فما مِنكُم أحَدٌ إلَّا وهو يَكرَهُ إذا لَم يَتَسَوَّكْ أن يُجالِسَ إخوانَه ". (أخلاق أهل القرآن ص: ١٤٥).

١- ولا يَخرُجُ مِن فِيه شيءٌ: بمعنى أنَّه لا تَخرُجُ قِراءةُ القرآنِ مِن فَمِ العبدِ المصلِّي إلَّا دخَلَ فَمَ المَلَكِ.
٢- رجاله رجال الصحيح إلا أن فيه فضيل بن سليمان النميري وثقه ابن حبان وضعفه الجمهور.

الأدب الثامن: يستحب لقارئ القرآن أن يقرأه وهو جالس:

وإن كان يجوز أن يقرأ القارئ القرآن واقفًا أو ماشيًا، **كما جاء في رواية مسلم عن عائشة-رَضِيَ اللهُ عنها- قالت:** " كانَ النَّبيُّ ﷺ يَذكُرُ اللهَ على كُلِّ أحيانِه". وكما هو معلوم أن القرآن من أفضل الذكر، إلا أنه يستحب لقارئ القرآن أن يقرأه جالسًا، وفي هَيئةٍ صالحة تَظْهر فيها عبوديَّتُه لله، ويبرز فيها تذلُّله وخضوعه؛ ليكون ذلك أعونَ على الانتفاع بالتِّلاوة. وهذا أبلغ في توقير كتاب الله تعالى، وتعظيم شعائره.

قال النَّووي-رحمه الله-: " وهذا هو الأكمل، ولو قرأ قائمًا، أو مضطجعًا، أو في فراشه، أو غير ذلك من الأحوال جاز، وله أجرٌ، ولكن دون الأوَّل".

الأدب التاسع: يستحب الاستعاذةُ قَبلَ الشُّروعِ في قراءة القرآن:

قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (النَّحْل:٩٨)

وهو أمرُ ندبٍ وليس بواجب. والاستعاذة ليست آيةً من القرآن بالإجماع. والحكمةُ منها ظاهرة؛ وهي ألاَّ يُلَبِّسَ الشَّيطان على القارئ قراءَتَه ويخلط عليه، ويمنعه من التَّدبُّر والتَّفكر. **وقوله تعالى:** ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ﴾ أَيْ: إِذَا أَرَدْتَ الْقِرَاءَةَ، فَاسْتَعِذْ باللهِ مِنَ الشَّيطانِ الرَّجيمِ. (تفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ)

فيُستَحَبُّ لقارِئِ القُرآنِ الكَريمِ إذا أرادَ الشُّروعَ في القِراءةِ أن يَستَعيذَ باللهِ مِنَ الشَّيطانِ الرَّجيمِ، سَواءٌ كان في الصَّلاةِ أو في غَيرِها. (زاد المسير لابن الجوزي:٢/ ٥٨٣) (التبيان في آداب حملة القرآن للنووي ص: ٨١)

قال ابنُ كثيرٍ-رحمه الله-: " والاستِعاذةُ هيَ الالتِجاءُ إلى اللهِ والالتِصاقُ بجَنابِه مِن شَرِّ كُلِّ ذي شَرٍّ، والعياذةُ تكونُ لدَفعِ الشَّرِّ، واللِّياذُ يَكونُ لطَلَبِ جَلبِ الخَيرِ. ومَعنى:" أعوذُ باللهِ مِنَ الشَّيطانِ الرَّجيمِ"، أي: أستَجيرُ بجَنابِ اللَّهِ مِنَ الشَّيطانِ الرَّجيمِ أن يَضُرَّني في ديني أو دُنيايَ، أو يَصُدَّني عن فِعلِ ما أُمِرتُ به، أو يَحُثَّني على فِعلِ ما نُهيتُ عنه؛ فإنَّ الشَّيطانَ لا يَكُفُّه عنِ الإنسانِ إلَّا اللهُ؛ ولهذا أمَرَ اللهُ تعالى بمُصانَعةِ شَيطانِ الإنسِ ومُداراتِه بإسداءِ الجَميلِ إليه؛ ليَرُدَّه طَبعُه عَمَّا هو فيه مِنَ الأذى، وأمَرَ بالاستِعاذةِ به مِن شَيطانِ الجِنِّ؛ لأنَّه لا يَقبَلُ رِشوةً ولا يُؤَثِّرُ فيه جَميلٌ؛ لأنَّه شِرِّيرٌ بالطَّبعِ، ولا يَكُفُّه عنك إلَّا الذي خَلَقَه". (تفسير القرآن العظيم:١/ ١١٣).

وقال السعدي-رحمه الله- في تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾:" أي فإذا أرَدتَ القِراءةَ لكِتابِ اللهِ الذي هو أشرَفُ الكُتُبِ وأجَلُّها، وفيه صَلاحُ القُلوبِ، والعُلومُ الكَثيرةُ، فإنَّ الشَّيطانَ أحرَصُ ما يَكونُ على العَبدِ عِندَ شُروعِه في الأُمورِ الفاضِلةِ، فيَسعى في صَرفِه عن مَقاصِدِها ومَعانيها؛ فالطَّريقُ إلى السَّلامةِ مِن شَرِّه الالتِجاءُ إلى اللهِ، والاستِعاذةُ به مِن شَرِّه، فيَقولُ القارِئُ:" أعوذُ باللهِ مِنَ الشَّيطانِ الرَّجيمِ" مُتَدَبِّرًا لمَعناها، مُعتَمِدًا بقَلبِه على اللهِ في صَرفِه عنه، مُجتَهِدًا في دَفعِ وساوِسِه وأفكارِه الرَّديئةِ مُجتَهِدًا على السَّبَبِ الأقوى في دَفعِه، وهو التَّحَلِّي بحِليةِ الإيمانِ والتَّوكُّلِ ".

(تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص: ٤٤٩)

فوائدِ الاستعاذةِ قبلَ القراءة:

قال ابنُ القَيِّمِ-رحمه الله-: " أمَرَ سُبحانَه بالاستِعاذةِ به مِنَ الشَّيطانِ عِندَ قِراءةِ القُرآنِ، وفي ذلك وُجوهٌ: **مِنها:** أنَّ القُرآنَ شِفاءٌ لِما في الصُّدورِ يَذهَبُ بما يُلقيه الشَّيطانُ فيها مِنَ الوساوِسِ والشَّهَواتِ والإراداتِ الفاسِدةِ؛ فهو دَواءٌ لِما أمَرَّه فيها الشَّيطانُ، فأُمِرَ أن يَطرُدَ مادَّةَ الدَّاءِ ويُخلِّيَ مِنه القَلبَ ليُصادِفَ الدَّواءُ مَحَلًّا خاليًا، فيَتَمَكَّنَ مِنه، ويُؤَثِّرَ فيه... فيَجيءُ هذا الدَّواءُ الشَّافي إلى قَلبٍ قد خَلا مِن مُزاحِمٍ ومُضادٍّ له فيُنجِعُ فيه. **ومِنها:** أنَّ القُرآنَ مادَّةُ الهدى والعِلمِ والخَيرِ في القَلبِ، كما أنَّ الماءَ مادَّةُ النَّباتِ، والشَّيطانُ نارٌ يُحرِقُ النَّباتَ أوَّلًا فأوَّلًا، فكُلَّما أحَسَّ بنَباتِ الخَيرِ في القَلبِ سَعى في إفسادِه وإحراقِه؛ فأُمِرَ أن يَستَعيذَ باللهِ عَزَّ وجَلَّ مِنه؛ لئَلَّا يُفسِدَ عليه ما يَحصُلُ له بالقُرآنِ. والفرقُ بَينَ هذا الوَجهِ والوَجهِ الذي قَبلَه: أنَّ الاستِعاذةَ في الوَجهِ الأوَّلِ لأجلِ حُصولِ فائِدةِ القُرآنِ، وفي الوَجهِ الثَّاني لأجلِ بَقائِها وحِفظِها وثَباتِها. **ومِنها:** أنَّ المَلائِكةَ تَدنو مِن قارِئِ القُرآنِ وتَستَمِعُ لقِراءَتِه، كما في حَديثِ أُسَيدِ بنِ حُضَيرٍ لمَّا كان يَقرَأُ ورَأى مِثلَ الظُّلَّةِ فيها مِثلُ المَصابيحِ، فقال النَّبيُّ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ:" **تلك المَلائِكةُ**". والشَّيطانُ ضِدُّ المَلَكِ وعَدُوُّه؛ فأُمِرَ القارِئُ أن يَطلُبَ مِنَ اللهِ تعالى مُباعَدةَ عَدوِّه عنه حَتَّى يُحضِرَه خاصَّتَه ومَلائِكَتَه، فهذه وليمةٌ لا يَجتَمِعُ فيها المَلائِكةُ والشَّياطينُ. **ومِنها:** أنَّ الشَّيطانَ يَجلِبُ على القارِئِ بخَيلِه ورَجِلِه؛ حَتَّى يَشغَلَه عنِ المَقصودِ بالقُرآنِ، وهو تَدَبُّرُه وتَفهُّمُه ومَعرِفةُ ما أرادَ به المُتَكَلِّمُ به سُبحانَه، فيَحرِصُ بجُهدِه على أن يَحولَ بَينَ قَلبِه وبَينِ مَقصودِ القُرآنِ، فلا يَكمُلَ انتِفاعُ القارِئِ به؛ فأُمِرَ عِندَ الشُّروعِ أن يَستَعيذَ باللهِ عَزَّ وجَلَّ مِنه. **ومِنها:** أنَّ القارِئَ مُناجٍ للهِ تعالى بكَلامِه... والشَّيطانُ إنَّما قِراءَتُه الشِّعرُ والغِناءُ؛ فأُمِرَ القارِئُ أن يَطرُدَه بالاستِعاذةِ عِندَ مُناجاتِه تعالى واستِماعِ الرَّبِّ قِراءَتَه. **ومِنها:** أنَّ اللَّهَ سُبحانَه أخبَرَ أنَّه ما أرسَلَ مِن رَسولٍ ولا نَبيٍّ إلَّا إذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ، والسَّلَفُ كُلُّهم على أنَّ المَعنى: إذا تَلا ألقى الشَّيطانُ في تِلاوتِه، فإذا كان هذا فِعلَه مَعَ الرُّسُلِ عليهمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ، فكَيف بغَيرِهم؟! ولهذا يُغلِطُ القارِئَ تارةً، ويَخلِطُ عليه القِراءةَ، ويُشَوِّشُها عليه، فيَخبِطُ عليه لسانَه، أو يُشَوِّشُ عليه ذِهنَه وقَلبَه، فإذا حَضَرَ عِندَ القِراءةِ لَم يَعدَمْ مِنه القارِئُ هذا أو هذا، ورُبَّما جَمَعَهما له؛ فكان مِن أهَمِّ الأُمورِ: الاستِعاذةُ باللهِ تعالى مِنه عِندَ القِراءةِ. **ومِنها:** أنَّ الشَّيطانَ أحرَصُ ما يَكونُ على الإنسانِ عِندَما يَهمُّ بالخَيرِ، أو يَدخُلُ فيه، فهو يَشتَدُّ عليه حينَئِذٍ لِيَقطَعَه عنه، **وفي الصَّحيحِ عنِ النَّبيِّ ﷺ:**" **إنَّ شَيطانًا تَفَلَّت عليَّ البارِحةَ، فأرادَ أن يَقطَعَ عليَّ صَلاتي**[1]". وكُلَّما كان الفِعلُ أنفعَ للعَبدِ وأحَبَّ إلى اللهِ تعالى، كان اعتِراضُ الشَّيطانِ له أكثَرَ.

وفي مُسنَدِ الإمامِ أحمَدَ مِن حَديثِ سَبرةَ بنِ أبي الفاكِهِ أنَّه سَمِعَ النَّبيَّ ﷺ يَقولُ: " **إنَّ الشَّيْطانَ قَعَدَ لابنِ آدَمَ بأطْرُقِه، فقَعَدَ له بطَريقِ الإسلامِ فقالَ: تُسلِمُ وتَذَرُ دينَك ودينَ آبائِك وآباءِ أبيك، فعَصاه فأسلَمَ، ثُمَّ قَعَدَ له بطَريقِ الهِجرةِ فقالَ: تُهاجِرُ وتَذَرُ أرضَك وسَماءَك، وإنَّما مَثَلُ المُهاجِرِ كمَثَلِ الفَرَسِ في الطِّوَلِ**[2] **فعَصاه فهاجَرَ، ثُمَّ قَعَدَ له بطَريقِ الجِهادِ، فقالَ: تُجاهِدُ، فهو جَهْدُ النَّفسِ والمالِ، فتُقاتِلُ فتُقتَلُ، فتُنكَحُ المَرأةُ، ويُقسَمُ المالُ، فعَصاه فجاهَدَ**".

١- والحَديثُ أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هُرَيرةَ ﷺ، عنِ النَّبيِّ ﷺ قال:" إنَّ عِفريتًا مِنَ الجِنِّ تَفَلَّت عليَّ البارِحةَ -أو كَلِمةً نَحوَها- ليَقطَعَ عَلَيَّ الصَّلاةَ، فأمكَنَني اللهُ منه، فأرَدتُ أن أربِطَه إلى سارِيةٍ مِن سَواري المَسجِدِ؛ حَتَّى تُصبِحوا وتَنظُروا إليه كُلُّكُم، فذَكَرتُ قَولَ أخي سُلَيمانَ: رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي

٢- الطِّوَلُ: هو بكَسرِ الطَّاءِ: الحَبلُ الطَّويلُ يُشَدُّ أحَدُ طَرَفَيه في وَتِدٍ أو غَيرِه، والطَّرَفُ الآخَرُ في يَدِ الفَرَسِ؛ ليَدورَ فيه ويَرعى ولا يَذهَبَ لوَجهِه.

(حاشية السيوطي على سنن النسائي:٦/ ٢١)

فالشَّيطانُ بالرَّصدِ للإنسانِ على طَريقِ كُلِّ خَيرٍ، ولا سيَّما عِندَ قِراءةِ القُرآنِ؛ فأمَر سُبحانَه العَبدَ أن يُحارِبَ عَدوَّه الذي يَقطَعُ عليه الطَّريقَ، ويَستَعيذَ باللهِ تعالى مِنه أوَّلًا، ثُمَّ يَأخُذَ في السَّيرِ، كما أنَّ المُسافِرَ إذا عَرَضَ له قاطِعُ طَريقٍ اشتَغَلَ بدَفعِه، ثُمَّ اندَفعَ في سَيرِه. **ومِنها:** أنَّ الاستِعاذةَ قَبلَ القِراءةِ عُنوانٌ وإعلامٌ بأنَّ المَأتيَّ به بَعدَها القُرآنُ؛ ولهذا لَم تُشرَعِ الاستِعاذةُ بَينَ يَدَي كَلامِ غَيرِه، بَل الاستِعاذةُ مُقدِّمةٌ وتَنبيهٌ للسَّامِعِ أنَّ الذي يَأتي بَعدَها هو التِّلاوةُ، فإذا سَمِعَ السَّامِعُ الاستِعاذةَ استَعَدَّ لاستِماعِ كَلامِ اللهِ تعالى، ثُمَّ شُرِعَ ذلك للقارِئِ وإن كان وحدَه؛ لِما ذَكَرنا مِنَ الحِكَمِ وغَيرِها ". اهـ (**إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان:١/ ٩٢-٩٤**)

وقال ابنُ عاشورٍ-رحمه الله-:" إنَّما شُرِعَتِ الاستِعاذةُ عِندَ ابتِداءِ القِراءةِ إيذانًا بنَفاسةِ القُرآنِ ونَزاهَتِه؛ إذ هو نازِلٌ مِنَ العالَمِ القُدسيِّ المَلَكيِّ، فجُعِلَ افتِتاحُ قِراءَتِه بالتَّجَرُّدِ عنِ النَّقائِصِ النَّفسانيَّةِ التي هيَ مِن عَمَلِ الشَّيطانِ، ولا استِطاعةَ للعَبدِ أن يَدفعَ تلك النَّقائِصَ عن نَفسِه إلَّا بأن يَسألَ اللهَ تعالى أن يُبعِدَ الشَّيطانَ عنه بأن يَعوذَ باللهِ؛ لأنَّ جانِبَ اللهِ قُدسيٌّ لا تَسلُكُ الشَّياطينُ إلى مَن يَأوي إليه، فأرشَدَ اللهُ رَسولَه إلى سُؤالِ ذلك، وضَمِنَ له أن يُعيذَه مِنه، وأن يُعيذَ أُمَّتَه عَوذًا مُناسِبًا، كما شُرِعَتِ التَّسميةُ في الأُمورِ ذَواتِ البالِ، وكما شُرِعَتِ الطَّهارةُ للصَّلاةِ. وإنَّما لَم تُشرَعْ لذلك كَلِمةُ "باسمِ اللَّهِ"؛ لأنَّ المَقامَ مَقامُ تَخَلٍّ عنِ النَّقائِصِ، لا مَقامُ استِجلابِ التَّيَمُّنِ والبَرَكةِ؛ لأنَّ القُرآنَ نَفسَه يُمنٌ وبَرَكةٌ وكَمالٌ تامٌّ، فالتَّيَمُّنُ حاصِلٌ، وإنَّما يَخشى الشَّيطانُ أن تغشى بَرَكاتُه، فيُدخِلُ فيها ما يَنقُصُها؛ فإنَّ قِراءةَ القُرآنِ عِبارةٌ مُشتَمِلةٌ على النُّطقِ بألفاظِه والتَّفهُّمِ لمَعانيه، وكِلاهما مُعَرَّضٌ لوَسوسةِ الشَّيطانِ وسوسةً تَتَعَلَّقُ بألفاظِه، مِثلُ الإنساءِ؛ لأنَّ الإنساءَ يَضيعُ على القارِئِ ما يَحتَوي عليه المِقدارُ المَنسيُّ مِن إرشادٍ، ووَسوسةً تَتَعَلَّقُ بمَعانيه، مِثلُ أن يخطئَ فهمًا أو يَقلِبَ عليه مُرادًا، وذلك أشَدُّ مِن وَسوَسةِ الإنساءِ ". اهـ (**التحرير والتنوير:١٤/ ٢٧٦**).

وقال ابنُ كَثيرٍ-رحمه الله-:" مِن لَطائِفِ الاستِعاذةِ أنَّها طَهارةٌ للفَمِ مِمَّا كان يَتَعاطاه مِنَ اللَّغوِ والرَّفَثِ، وتَطييبٌ له وتَهَيُّؤٌ لتِلاوةِ كَلامِ اللَّهِ، وهيَ استِعانةٌ باللهِ واعتِرافٌ له بالقُدرةِ، وللعَبدِ بالضَّعفِ والعَجزِ عن مُقاومةِ هذا العَدوِّ المُبينِ الباطِنيِّ الذي لا يَقدِرُ على مَنعِه ودَفعِه إلَّا اللهُ الذي خَلَقَه، ولا يَقبَلُ مُصانَعةً، ولا يُدارى بالإحسانِ، بخِلافِ العَدوِّ مِن نَوعِ الإنسانِ... وقال تعالى: ﴿**إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا**﴾ (الإسراء: ٦٥)، وقد نَزَلَتِ المَلائِكةُ لمُقاتَلةِ العَدوِّ البَشَريِّ يَومَ بَدرٍ، ومَن قَتَلَه العَدوُّ البَشَريُّ كان شَهيدًا، ومَن قَتَلَه العَدوُّ الباطِنيُّ كان طَريدًا، ومَن غَلَبَه العَدوُّ الظَّاهِرُ كان مَأجورًا، ومَن قَهَرَه العَدوُّ الباطِنُ كان مَفتونًا أو مَوزورًا، ولمَّا كان الشَّيطانُ يرى الإنسانَ مِن حَيثُ لا يَراه، استَعاذَ مِنه بالذي يَراه ولا يَراه الشَّيطانُ ". (**تفسير القرآن العظيم:١/ ١١٤**).

أفضل صيغ للاستعاذة: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، أو أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم.

الأدب العاشر: بعد الاستعاذة يبدأ بالبَسْملة:

ويستحب أن يحافظ على قراءة "بسم الله الرحمن الرحيم" في أول كل سورة، سوى سورة براءة.

ومعنى البسملة: أي أبدأ بعونِ اللهِ وتوفيقِه وبركتِه، وهذا تعليم من الله تعالى لعباده ليذكروا اسم الله تعالى عند افتتاح القراءة وغيرها؛ حتَّى يكون الافتتاحُ ببركة اسمِ الله، فالإتيان بالبسملة من باب التبرُّك والتَّيمُّن بِذِكْرِ اسم الله.

الأدب الحادي عشر: يستحب عند قراءة القرآن أن يقرأ التِّلاوة بخُشوعٍ وتَدَبُّرٍ:

البعض يقرأ القرآن ويكثر من قراءته، والغرض من ذلك هو أن يختم القرآن أكثر من ختمة، وهذا خير كبير وأجره عظيم، ولكن تجده لا يتدبر في آية من آيات المصحف، **وهذا خطأ كبير مخالف لقول رب العالمين:** ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (سورة ص:٢٩)

وغير ذلك من الآيات التى تشير إلى تدبر القرآن عند تلاوته ومنها:

قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (ص: ٢٩)

وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (محمد: ٢٤)

وقال تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (١٠٥) وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا (١٠٦) قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ (الإسراء: ١٠٥ - ١٠٩).

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (الزمر:٢٣).

وقال تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الحشر: ٢١).

قال الرَّسْعَنِيُّ-رحمه الله-:" قَولُه تعالى: لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ المَعنى: لَو رَكَّبنا في جَبَلٍ عَقلًا وتَمييزًا وأنزَلْنا هذا القُرآنَ العَظيمَ عليه، لَرَأَيْتَهُ لمَواعِظِ القُرآنِ وزواجرِه مَعَ ما رُكِّبَ فيه مِنَ الصَّلابةِ خَاشِعًا ذَليلًا خاضِعًا... والغَرَضُ: تَوبيخُ الإنسانِ على قَسوةِ قَلبِه، وقِلَّةِ خُشوعِه عِندَ تِلاوةِ القُرآنِ، وإعراضِه عن تَدَبُّرِ آياتِه، والتَّفكُّرِ في عَجائِبِ ما صُرِّف فيه مِنَ الوَعدِ والوَعيدِ ". (رموز الكنوز:٨/ ٧٤)

قَالَ نَهِيكُ بْنُ سِنَانٍ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ:" إِنِّي لَأَقْرَأُ الْمُفَصَّلَ فِي رَكْعَةٍ"، فَقَالَ لَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ: "هَذًّا كَهَذِّ الشِّعْرِ[1]؟! إِنَّ أَقْوَامًا يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، وَلَكِنْ إِذَا وَقَعَ فِي الْقَلْبِ فَرَسَخَ فِيهِ نَفَعَ ".

(رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

يقول الإمام القرطبي-رحمه الله-: قال العلماء: " يجب على القارئ إحضار قلبه والتفكر عند قراءته، لأنه يقرأ خطاب الله الذي خاطب به عباده، فمَن قرأ ولم يتفكر فيه – وهو من أهل أن يدركه بالتذكر والتفكر- كان كمن لم يقرأه ولم يصل إلى غرض القراءة من قراءته، فإن القرآن يشتمل على آيات مختلفة الحقوق، فإذا ترك التفكر والتدبر فيما يقرأه استوت الآيات كلها عنده، فلم يدع لواحدة منها حقها، فثبت أن التفكر شرط في القراءة، يتوصل به إلى إدراك أغراضه ومعانيه، وما يحتوي عليه من عجائبه ".

(التذكار في أفضل الأذكار ص:١٩٥)

ويقول الحافظ جلال الدين السيوطي في كتاب" الإتقان في علوم القرآن:١/ ١٠٦": " وتسن القراءة بالتدبر والتفهم فهو المقصود الأعظم والمطلوب الأهم، وبه تنشرح الصدور وتستنير القلوب.... وصفة ذلك أن يشغل قلبه بالتفكر في معنى ما يلفظه به فيعرف معنى كل آية، ويتأمل الأوامر والنواهي ويعتقد قبول ذلك، فإن كان قصَّر عنه فيما مضى اعتذر واستغفر، وإذا مر بآية رحمة استبشر وسأل، أو عذاب أشفق وتعوَّذ، أو تنزيه نزَّه وعظَّم، أو دعاء تضرَّع وطلب ". اهـ

فعلى الإنسان أن يحدد له وقتًا زمنيًّا يقرأ فيه وردًا من القرآن، بغض النظر عن الكم الذي يقرؤه، لكن عليه أن يتفكر فيما يقرأ، ولو لم يخرج من هذه الجلسة إلا بجزء بسيط من القرآن لكن قراءة بتفكر وتدبر، فيكون هذا أفضل وأنفع له.

ويقول الإمام أبو حامد الغزالي-رحمه الله- في كتابه "إحياء علوم الدين:٣/٥١٦": " فتأثر العبد بالتلاوة أن يصير بصفة الآية المتلوة، فعند الوعيد وتقييد المغفرة بالشروط، يتضاءل من خيفته كأنه يكاد يموت، وعند التوسع ووعد المغفرة يستبشر كأنه يطير من الفرح، وعند ذكر الله وصفاته وأسمائه يتطأطأ خضوعًا لجلاله، واستشعارًا لعظمته، وعند ذكر الكفار ما يستحيل على الله ﷻ، كذكرهم لله ﷻ ولدًا وصاحبة يغض صوته، وينكسر في باطنه حياء من قبح مقالتهم، وعند وصف الجنة ينبعث بباطنه شوقًا إليها، وعند وصف النار ترتعد فرائصه خوفًا منها.

ويقول محمد بن كعب القرظي-رحمه الله-: " مَن بلغه القرآن فكأنما كلَّمه الله، وإذا قدَّر ذلك لم يتخذ دراسة القرآن عمله، بل يقرؤه كما يقرأ العبد كتاب مولاه الذي كتبه إليه ليتأمله، ويعمل بمقتضاه ".

(إحياء علوم الدين:١/٥١٦)

١- لأنهم كانوا إذا أنشدوا القصيدةَ أسرعوا لِيَظْهَرَ مِيزانُ بَحرِها، وتتعاقَبَ قوافيها على الأسماع. والهَذُّ: إسراع القطع. (التحرير والتنوير:٢٩/ ٢٤٣).

وذكر الغزالي-رحمه الله- عن بعض العلماء أنه قال: " هذا القرآن رسائل أتتنا من قِبل ربنا ﷻ بعهوده، نتدبَّرها في الصلوات، ونقف عليها في الخلوات، وننفذها في الطاعات والسنن المتَّبَعات ". **(المصدر السابق)**

وقال المناوي-رحمه الله-: " القِراءةُ حالةٌ تَقتَضي مُطالَعةَ جَلالِ اللهِ وعِرفانَ صِفاتِه، ولذلك الحالِ آثارٌ تَنشَأُ عنها الخَشيةُ مِن وعيدِ اللهِ وزَواجِرِ تَذكيرِه وقَوارِع تَخويفِه، فمَن تَلَبَّس بهذا الحالِ وظَهَرَت عليه هَيبةُ الجَلالِ فهو أحسَنُ النَّاسِ قِراءةً؛ لِما دَلَّ عليه حالُه مِن عَدَمِ غَفلةِ قَلبِه عن تَدَبُّرِ مَواعِظِ رَبِّه، وخَشيةُ اللهِ سَبَبٌ لوُلوجِ نورِ اليَقينِ في القَلبِ، والتَّلَذُّذِ بكَلامِ الرَّبِّ، ومَن لَم يَكُنْ كذلك فالقُرآنُ لا يُجاوِزُ حَنجَرَتَه ".

(فيض القدير للمناوي:١/ ١٩٠)

وأخرج ابن حبان والطحاوي في" شرح مشكل الآثار"عن عُبَيدِ بنِ عُمَيرٍ أنَّه قال لعائِشةَ رَضيَ اللهُ عنها:

أخبرينا بأعجَبِ شَيءٍ رأيتِه مِن رَسولِ اللهِ ﷺ، قال:" فسَكَتَت ثُمَّ قالت: لمَّا كان لَيلةً مِنَ اللَّيالي قال: يا عائِشةُ، ذَريني أتَعبَّدُ اللَّيلةَ لرَبِّي، قُلتُ: واللهِ إنِّي لأُحِبُّ قُربَك وأُحِبُّ ما سرَّك، قالت: فقامَ فتَطَهَّر ثُمَّ قامَ يُصَلِّي، فلَم يَزَلْ يَبكي حَتَّى بَلَّ حِجرَه، ثُمَّ بَكى فلَم يَزَلْ يَبكي حَتَّى بَلَّ لِحيَتَه، ثُمَّ بَكى فلَم يَزَلْ يَبكي حَتَّى بَلَّ الأرضَ، فجاءَ بِلالٌ يُؤذِنُه بالصَّلاةِ، فلَمَّا رَآه يَبكي قال: يا رَسولَ اللهِ، لمَ تَبكي وقد غَفرَ اللهُ لَك ما تَقدَّم وما تَأخَّرَ؟ قال: أفلا أكونُ عَبدًا شَكورًا؟ لَقد نَزَلَت عليَّ اللَّيلةَ آيةٌ وَيلٌ لِمَن قَرَأها ولَم يَتَفكَّرْ فيها: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (آل عمران:١٩٠)

(صحيح الترغيب:١٤٦٨) (وصححه شعيب الأرناؤوط في تخريج شرح مشكل الآثار:٤٦١٨)

قال العِزُّ بنُ عَبدِ السَّلامِ -رحمه الله-: " إنَّما أنزَلَ اللهُ كِتابَه ليَتأدَّبَ عِبادُه بآدابِه، ويَتَخَلَّقوا بأخلاقِه، ويَتأمَّلوا ما فيه مِنَ الثَّناءِ على اللهِ، وما لَم يُتَدَبَّرْ ذلك حَتَّى يُفهَمَ لا يُمكِنُ العَمَلُ به؛ فإنَّه رَسائِلُ أرسَلَها اللهُ تعالى إلى عِبادِه ليُنَفِّذوها، لا لتُقرَأَ عليهم فلا يَفهَموها ولا يُقيموها ". **(شجرة المعارف للمناوي ص: ٦٧)**

وقال وهيب بن الورد-رحمه الله-: " نظرنا في هذه الأحاديث والمواعظ فلم نجد شيئًا أرق للقلوب، ولا أشد استجلابا للحزن من قراءة القرآن وتفهمه وتدبره، فرحم الله أقوامًا كانوا إذا مروا بآية فيها ذكر النار فكأن زفيرها في آذانهم.

منع القـرآن بوعـــده ووعيـده ... مقل العيـون بليلها لا تهجـعُ

فهموا عن الملك الجليل كلامه ... فهما تذلُّ له الرقاب وتخضع

وإذا مروا بآية فيها ذكرٌ للجنة فكأنهم فيها منعمون، وطربت قلوبهم لنعيمها، وتنبعث بواطنهم شوقا إليها. ومن الصالحين من مات من سماع آيات العذاب، كعلي بن الفضيل، وزُرارة بن أبي أوفى، وغيرهما كثير.

قال ابن أبي الحواري-رحمه الله-: " إني لأعجب لقراء القرآن، وكيف يهنيهم النوم ومعهم القرآن، أما والله لو علموا ما حملوا لطار عنهم النوم فرحًا بما رُزقوا ".

ومن لا يتأثر بالقرآن يكون له نصيب من هذه الآية: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ﴾ (سورة البقرة: ٧٨) أي تلاوة مجردة. أما أهل العلم بالله فهم الذين قال الله فيهم: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾(سورة البقرة:١٢١) فتلاوة القرآن حق تلاوته هو أن يشترك فيه اللسان والعقل والقلب، فحظ اللسان تصحيح الحروف، وحظ العقل تفسير المعاني، وحظ القلب الاتعاظ والتأثر بالانزجار والائتمار، فاللسان يرتل، والعقل يترجم، والقلب يتعظ. **قال تعالى:** ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (الحديد: ١٦)

***يَقُولُ ابْنُ الْقَيِّمِ*-رحمه الله-**:" إِذَا أَرَدْتَ الِانْتِفَاعَ بِالْقُرْآنِ فَاجْمَعْ قَلْبَكَ عِنْدَ تِلَاوَتِهِ وَسَمَاعِهِ، وَأَلْقِ سَمْعَكَ، وَاحْضُرْ حُضُورَ مَنْ يُخَاطِبُهُ بِهِ مَنْ تَكَلَّمَ بِهِ سُبْحَانَهُ مِنْهُ إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ خِطَابٌ مِنْهُ لَكَ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ ".

وقال ابنُ القَيِّمِ أيضًا:" لا شَيءَ أنفعُ للقَلبِ مِن قِراءةِ القُرآنِ بالتَّدَبُّرِ والتَّفكُّرِ؛ فإنَّه جامِعٌ لجَميعِ مَنازِلِ السَّائِرينَ، وأحوالِ العامِلينَ، ومَقاماتِ العارِفينَ، وهو الذي يورِثُ المَحَبَّةَ والشَّوقَ، والخَوفَ والرَّجاءَ، والإنابةَ والتَّوكُّلَ، والرِّضا والتَّفويضَ، والشُّكرَ والصَّبرَ، وسائِرَ الأحوالِ التي بها حَياةُ القَلبِ وكَمالُه، وكَذلك يَزجُرُ عن جَميعِ الصِّفاتِ والأفعالِ المَذمومةِ التي بها فَسادُ القَلبِ وهَلاكُه. فلَو عَلِمَ النَّاسُ ما في قِراءةِ القُرآنِ بالتَّدَبُّرِ لاشتَغَلوا بها عن كُلِّ ما سِواها، فإذا قَرَأه بتَفكُّرٍ حَتَّى مَرَّ بآيةٍ وهو مُحتاجٌ إليها في شِفاءِ قَلبِه، كَرَّرَها ولَو مِئةَ مَرَّةٍ، ولَو لَيلةً؛ فقِراءةُ آيةٍ بتَفكُّرٍ وتَفهُّمٍ خَيرٌ مِن قِراءةِ خَتمةٍ بغَيرِ تَدَبُّرٍ وتَفهُّمٍ، وأنفَعُ للقَلبِ، وأدعى إلى حُصولِ الإيمانِ، وذَوقِ حَلاوةِ القُرآنِ. وهذه كانت عادةَ السَّلَفِ؛ يُرَدِّدُ أحَدُهمُ الآيةَ إلى الصَّباحِ... فقِراءةُ القُرآنِ بالتَّفكُّرِ هيَ أصلُ صَلاحِ القَلبِ. **والتَّفكُّرُ في القُرآنِ نَوعانِ:** تَفكُّرٌ فيه ليَقَعَ على مُرادِ الرَّبِّ تعالى مِنه، وتَفكُّرٌ في مَعاني ما دَعا عِبادَه إلى التَّفكُّرِ فيه. **فالأوَّلُ:** تَفكُّرٌ في الدَّليلِ القُرآنيِّ، **والثَّاني:** تَفكُّرٌ في الدَّليلِ العِيانيِّ. الأوَّلُ: تَفكُّرٌ في آياتِه المَسموعةِ، والثَّاني: تَفكُّرٌ في آياتِه المَشهودةِ. ولهذا أنزَلَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ القُرآنَ ليُتَدَبَّرَ ويُتَفكَّرَ فيه ويُعمَلَ به، لا لمُجَرَّدِ تِلاوتِه مَعَ الإعراضِ عنه. قال الحَسَنُ البَصريُّ: أُنزِلَ القُرآنُ ليُعمَلَ به، فاتَّخَذوا تِلاوتَه عَمَلًا! ". (مفتاح دار السعادة:١/ ١٨٧)

***ويقول وهيب بن الورد*-رحمه الله-:**" نظرنا في هذه الأحاديث فلم نجد شيئًا أرق للقلوب، ولا أشد استجلابًا للحزن، من قراءة القرآن وتفهمه وتدبره ".

فكان السلف يؤكد على أن تدبر القرآن وتفهمه – إلى جانب كونه مطلبًا دينيًا – فهو وسيلة تربوية ناجحة لشفاء القلوب من قسوتها، والأعين من جمودها.

الأدب الثاني عشر: يستحب ترتيلُ القُرآنِ الكَريم:

قال تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ (المزمل: ٤).

أي: واقرَأِ القُرآنَ بتَمَهُّلٍ وتُؤَدةٍ وتَبيينٍ لحُروفِه بلا عَجَلةٍ؛ فيَكونُ ذلك عَونًا على التَّفكُّرِ فيه، وفَهمِ مَعانيه.
(التفسير المحرر:٤١/ ١٦)

فيُستَحَبُّ لقارِئِ القُرآنِ الكَريمِ أن يُرَتِّلَ قِراءَتَه[1]، والترتيل هو: القراءة بتمهل وتدبر مع تبيين حروفه.
(التبيان في آداب حملة القرآن ص: ٨٨، ٨٩)

وَلِذَلِكَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" **لَا يَفْقَهُ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فِي أَقَلَّ مِنْ ثَلَاثٍ** ".

(أخرجه أبو داود والترمذي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما)

قال النَّوويُّ–رحمه الله–: " اتَّفقَ العُلَماءُ رَضيَ اللهُ عنهم على استِحبابِ التَّرتيلِ ".

وقال تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ (الإسراء: ١٠٦).

أي: وقُرآنًا فَصَّلْناه وبَيَّنَّاه وأحْكَمْناه، وفرَّقْنا فيه بينَ الحَقِّ والباطِلِ، والهُدى والضَّلالِ؛ لِتَتلُوَه –يا رَسولَ اللهِ– على النَّاسِ بتَمَهُّلٍ وتُؤَدةٍ وتَرتيلٍ، ولا تَعجَلْ في تِلاوتِه؛ فإنَّ ذلك أيسَرُ للحِفظِ، وأعوَنُ على الفَهمِ؛ ليَتَدَبَّرَه النَّاسُ ويتَفَكَّروا في معانيه، ويَستَخرِجوا مِن عُلومِه وأسرارِه ومَرامِيه. (تَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ) (التفسير المحرر:١٤/ ٤٨٥).

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ (الفرقان: ٣٢).

أي: أنزَلْناه مُرَتَّلًا، وهو ضِدُّ المُعَجَّلِ. (شرح السنة للبغوي:٤/ ٤٨١)

وأخرج الإمام أحمد وأبو داود واللفظ له والترمذي من حديث عَبدِ اللهِ بنِ عَمرٍو رَضيَ اللهُ عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:" **يُقالُ لصاحِبِ القُرآنِ: اقرَأْ وارتَقِ ورَتِّلْ كما كُنتَ تُرَتِّلُ في الدُّنيا؛ فإنَّ مَنزِلَك عِند آخِرِ آيةٍ تَقرَؤُها** ". (صحيح سنن أبي داود:١٤٦٤)

أخرج الإمام مسلم من حديث حَفصةَ–رَضيَ اللهُ عنها– قالت: " **ما رَأيتُ رَسولَ اللهِ** ﷺ **صَلَّى في سُبحَتِه**[2] **قاعِدًا، حتَّى كان قَبلَ وفاتِه بعامٍ، فكان يُصَلِّي في سُبحَتِه قاعِدًا، وكان يَقرَأُ بالسُّورةِ فيُرَتِّلُها حَتَّى تكونَ أطوَلَ مِن أطوَلَ مِنها** ".

وأخرج البخاري عن قتادةَ قال: " **سُئِلَ أنَسٌ: كَيف كانت قِراءةُ النَّبيِّ** ﷺ**؟ فقال: كانت مَدًّا، ثُمَّ قَرَأ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** (الفاتحة:١)، **يَمُدُّ ببسمِ اللَّهِ، ويَمُدُّ بالرَّحمَنِ، ويَمُدُّ بالرَّحيمِ** ".

– ***وفي لَفظٍ:*** " **سَألتُ أنَسَ بنَ مالكٍ عن قِراءةِ النَّبيِّ** ﷺ**، فقال: كان يَمُدُّ مَدًّا** ".(أخرجه البخاري).

١ـ التَّرتيل: جَعْلُ الشيءِ مرتَّلًا؛ أي: مفرقًا، وأصله من قولهم: ثَغْرٌ مُرَتَّل، وهو المفلج الأسنان؛ أي: المفرق بين أسنانه تفريقًا قليلًا بحيث لا تكون النواجذ متلاصقة، وأُريدَ بترتيل القرآن ترتيل قراءته؛ أي: التَّمهل في النُّطق بحروف القرآن حتى تخرج من الفم واضحة مع إشباع الحركات التي تستحق الإشباع.
٢ـ سُبْحَتُه: أي: نافِلَتُه، والسُّبحةُ: الصَّلاةُ مُطلقًا، وقد تَرِدُ في مَواضِعَ بمَعنى النَّافِلةِ خاصَّةً كَهذا المَوضِعِ، وإنَّها بالنَّافِلةِ أخَصُّ؛ قيل: لأنَّ الفريضةَ وإن كان فيها تَسبيحٌ أيضًا، ولكِنْ تَسبيحُ الفريضةِ فيها نافِلةٌ، فجُعِل اسمُ صَلاةِ النَّافِلةِ كُلِّها سُبحةً؛ لأنَّها كالتَّسبيحِ في الفريضةِ. (جامع الأصول لابن الأثير:٥/ ٣١٦)

أخرج الإمام مسلم من حديث حُذَيفَةَ ﷺ قال: " صَلَّيتُ مَعَ النَّبيِّ ﷺ ذاتَ لَيلةٍ، فافتَتَحَ البَقَرةَ، فقُلتُ: يَركَعُ عِندَ المِائةِ، ثُمَّ مَضى، فقُلتُ: يُصَلِّي بها في رَكعةٍ، فمَضى، فقُلتُ: يَركَعُ بها، ثُمَّ افتَتَحَ النِّساءَ، فقَرَأها، ثُمَّ افتَتَحَ آلَ عِمرانَ، فقَرَأها، يَقرَأُ مُترَسِّلًا[1]، إذا مَرَّ بآيةٍ فيها تَسبيحٌ سَبَّحَ، وإذا مَرَّ بسُؤالٍ سَألَ، وإذا مَرَّ بتَعَوُّذٍ تَعوَّذَ ".

قال القاضي عِياضٌ-رحمه الله-: " لا خِلافَ في أنَّ حُسنَ الصَّوتِ في القِراءة مُستَحسَنٌ، والتَّرتيلَ فيها وتَحسينَ تِلاوةِ القُرآنِ مَشروعٌ مَندوبٌ إليه ". (إكمال المعلم:٣/ ١٦٠).

قال النَّوويُّ-رحمه الله-: " قال العُلَماءُ: والتَّرتيلُ مُستَحَبٌّ للتَّدَبُّرِ ولغَيرِه، قالوا: يُستَحَبُّ التَّرتيلُ للعَجَميِّ الذي لا يَفهَمُ مَعناه؛ لأنَّ ذلك أقرَبُ إلى التَّوقيرِ والاحتِرامِ، وأشَدُّ تَأثيرًا في القَلب ".

(التبيان في آداب حملة القرآن ص: ٩١).

وقال الآجُرِّيُّ-رحمه الله-: " اعلَمْ أنَّه إذا رَتَّلَه وبَيَّنَه انتَفعَ به مَن يَسمَعُه مِنه، وانتَفعَ هو بذلك؛ لأنَّه قَرَأه كما أمَرَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ في قَولِه تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾ (الإسراء: ١٠٦): أي على تُؤَدةٍ، والقَليلُ مِنَ الدَّرسِ للقُرآنِ مَعَ الفِكرِ فيه وتَدَبُّرِه أحَبُّ إليَّ مِن قِراءةِ الكَثيرِ مِنَ القُرآنِ بغَيرِ تَدَبُّرٍ ولا تَفكُّرٍ فيه، وظاهِرُ القُرآنِ يَدُلُّ على ذلك، والسُّنَّةُ وقَولُ أئِمَّةِ المُسلِمينَ ". (أخلاق أهل القرآن ص: ١٦٧، ١٦٩).

وقال القُرطُبيُّ-رحمه الله-: " يَنبَغي أن يَقرَأَه على تُؤَدةٍ وتَرتيلٍ ولا يَهُذُّه؛ فإنَّ التَّفكُّرَ أمكَنُ مِنه عِندَ التَّرتيلِ مِنه عِندَ الهَذِّ؛ فكان التَّرتيلُ بالذِّكرِ أَولى، فيَستَعمِلُ فيه ذِهنَه وفَهمَه حَتَّى يَعقِلَ ما يُخاطَبُ به ".

قال ابنُ مَسعودٍ ﷺ: " لا تَهُذُّوا[2] القُرآنَ هَذَّ الشِّعرِ، ولا تَنثُروه نَثرَ الدَّقَلِ[3]، وقِفوا عِندَ عَجائِبِه، وحَرِّكوا به القُلوبَ، ولا يَكُنْ هَمَّ أحَدِكُم آخِرَ السُّورةِ[4].

وقال ابنُ حَجَرٍ العَسقَلانيُّ-رحمه الله-: " التَّحقيقُ أنَّ لكُلٍّ مِنَ الإسراعِ والتَّرتيلِ جِهةَ فَضلٍ، بشَرطِ أن يَكونَ المُسرِعُ لا يُخِلُّ بشَيءٍ مِنَ الحُروفِ والحَرَكاتِ والسُّكونِ الواجِباتِ، فلا يَمتَنِعُ أن يَفضُلَ أحَدُهما الآخَرَ وأن يَستَوِيا؛ فإنَّ مَن رَتَّلَ وتَأمَّلَ كمَن تَصَدَّقَ بجَوهَرةٍ واحِدةٍ مُثَمَّنةٍ، ومَن أسرَعَ كمَن تَصَدَّقَ بعِدَّةِ جَواهِرَ، لَكِنْ قيمَتُها قيمةُ الواحِدةِ، وقد تَكونُ قيمةُ الواحِدةِ أكثَرَ مِن قيمةِ الأُخرَياتِ، وقد يَكونُ بالعَكسِ ".

(فتح الباري:٩/ ٨٩)

١- والتَّرَسُّلُ: تَرتيلُ الحُروفِ وأداؤُها حَقَّها. - قال أبو العَبَّاسِ القُرطُبيُّ-رحمه الله-:" قَولُه:" يَقرَأُ مُترَسِّلًا"، أي: مُتَرَفِّقًا مُتَمَهِّلًا، مِن قَولِهم: على رِسْلِك، أي: على رِفقِك ". (المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم:٢/ ٤٠٥)، وقال ابنُ عُلَّانَ-رحمه الله-: وقوله:" يَقرَأُ مُترَسِّلًا"، أي: مُرَتِّلًا بتَبيينِ الحُروفِ وأداءِ حَقِّها".
(دليل الفالحين:٦/ ٦٤٣)

٢- الهَذُّ: سُرعةُ القراءةِ والإفراطُ في العَجَلةِ. (شرح مسلم للنووي:٦/ ١٠٥)

٣- الدَّقَلُ مِنَ التَّمرِ قيل: هو أردَأُ أنواعِه، واحِدَتُها دَقَلَةٌ، بفتحِ الدَّالِ والقافِ، وأدقَلَتِ النَّخلةُ نَحوُ أرطَبَت وأثمَرَت، والدَّقَلُ إذا نُثِرَ تَفرَّقَ فلا تَراه ليُبسِه ورَداءَتِه يُجمَعُ، بَل يَكونُ مَنثورًا، لا يَلصَقُ بَعضُه ببَعضٍ، ووَجهُ التَّشبيهِ: أنَّه يَتَناثَرُ مُتَتابِعًا على غَيرِ تَرتيبٍ، فشُبِّهَ المُسرِعُ في قِراءَتِه بذلك.
(جامع الأصول لابن الأثير:٥/ ٣٥٣) (المفهم لأبي العباس القرطبي:٢/ ٤٥٥)

٤- أخرجه ابن أبي شيبة والبيهقي في" شعب الإيمان".

فائدةٌ:

قال ابنُ القَيِّمِ-رحمه الله-: " اختَلَف النَّاسُ في الأفضَلِ مِنَ التَّرتيلِ وقِلَّةِ القِراءةِ، أوِ السُّرعةِ مَعَ كَثرةِ القِراءةِ: أيُّهما أفضَلُ، على قَولَينِ.

فذَهَبَ ابنُ مَسعودٍ وابنُ عَبَّاسٍ رَضيَ اللهُ عنهم وغَيرُهما إلى أنَّ التَّرتيلَ والتَّدَبُّرَ مَعَ قِلَّةِ القِراءةِ أفضَلُ مِن سُرعةِ القِراءةِ مَعَ كَثرَتِها.

واحتَجَّ أربابُ هذا القَولِ بأنَّ المَقصودَ مِنَ القِراءةِ فَهمُه وتَدَبُّرُه، والفِقهُ فيه والعَمَلُ به. وتِلاوتُه وحِفظُه وسيلةٌ إلى مَعانيه، كما قال بَعضُ السَّلَفِ:" نَزَلَ القُرآنُ ليُعمَلَ به، فاتَّخَذوا تِلاوتَه عَمَلًا [1]". ولهذا كان أهلُ القُرآنِ هُمُ العالِمونَ به، والعامِلونَ بما فيه، وإن لَم يَحفَظوه عن ظَهرِ قَلبٍ، وأمَّا مَن حَفِظَه ولَم يَفهَمْه ولَم يَعمَلْ بما فيه، فلَيسَ مِن أهلِه وإن أقامَ حُروفَه إقامةَ السَّهمِ.

قالوا: ولأنَّ الإيمانَ أفضَلُ الأعمالِ، وفَهمُ القُرآنِ وتَدَبُّرُه هو الذي يُثمِرُ الإيمانَ، وأمَّا مُجَرَّدُ التِّلاوةِ مِن غَيرِ فَهمٍ ولا تَدَبُّرٍ، فيَفعَلُها البَرُّ والفاجِرُ، والمُؤمِنُ والمُنافِقُ، كما قال النَّبيُّ ﷺ:" **ومَثَلُ المُنافِقِ الذي يَقرَأُ القُرآنَ كمَثَلِ الرَّيحانةِ؛ رِيحُها طَيِّبٌ، وطَعمُها مُرٌّ** [2]". والنَّاسُ في هذا أربَعُ طَبَقاتٍ: أهلُ القُرآنِ والإيمانِ، وهم أفضَلُ النَّاسِ. والثَّانيةُ: مَن عَدِمَ القُرآنَ والإيمانَ. الثَّالثةُ: مَن أوتيَ قُرآنًا ولَم يُؤتَ إيمانًا، الرَّابعةُ: مَن أوتيَ إيمانًا ولَم يُؤتَ قُرآنًا.

قالوا: فكَما أنَّ مَن أوتيَ إيمانًا بلا قُرآنٍ أفضَلُ مِمَّن أوتيَ قُرآنًا بلا إيمانٍ، فكَذلك مَن أوتيَ تَدَبُّرًا وفَهمًا في التِّلاوةِ أفضَلُ مِمَّن أوتيَ كَثرةَ قِراءةٍ وسُرعَتَها بلا تَدَبُّرٍ.

قالوا: وهذا هَديُ النَّبيِّ ﷺ؛ فإنَّه كان يُرَتِّلُ السُّورةَ حَتَّى تكونَ أطوَلَ مِن أطوَلَ مِنها[3].

وقال أصحابُ الشَّافِعيِّ رَحِمَه اللهُ: كَثرةُ القِراءةِ أفضَلُ، *واحتَجُّوا بحَديثِ ابنِ مَسعودٍ ﷺ قال: قال رَسولُ اللهِ ﷺ:* " **مَن قَرَأَ حَرفًا مِن كِتابِ اللهِ فلَه به حَسَنةٌ، والحَسَنةُ بعَشرِ أمثالِها، لا أقولُ: الم حَرفٌ، ولَكِنْ ألِفٌ حَرفٌ، ولامٌ حَرفٌ، وميمٌ حَرفٌ**". (رَواه التِّرمِذيُّ وصَحَّحَه).

قالوا: ولأنَّ عُثمانَ بنَ عَفَّانَ قَرَأَ القُرآنَ في رَكعةٍ[4]، وذَكَروا آثارًا عن كَثيرٍ مِنَ السَّلَفِ في كَثرةِ القِراءةِ.

١- أخرجه الآجري في" أخلاق حملة القرآن"، وعند الخطيب في" اقتضاء العلم العمل" عن عَبدِ الصَّمَدِ بنِ يَزيدَ قال سَمِعتُ الفُضَيلَ يَقولُ:" إنَّما نَزَلَ القُرآنُ ليُعمَلَ به، فاتَّخَذَ النَّاسُ قِراءَتَه عَمَلًا! قال: قيلَ: كَيفَ العَمَلُ به؟ قال: أي: ليُحِلُّوا حَلالَه ويُحَرِّموا حَرامَه، ويَأتَمِروا بأوامِره ويَنتَهوا عن نَواهيه، ويَقِفوا عِندَ عَجائِبِه:. وذكره الغزالي في" الإحياء مِن قَولِ عبدِ اللهِ بنِ مَسعودٍ ﷺ بلَفظِ:" أنزِلَ القُرآنُ ليُعمَلَ به، فاتَّخَذتُم دِراسَتَه عَمَلًا، وسيَأتي قَومٌ يُثَقِّفونَه (أي يبالغون في تحسينه) مِثلَ القَناةِ ليسوا بخيارِكُم، والعالِمُ الذي لا يَعمَلُ كالمَريضِ الذي يَصِفُ الدَّواءَ، وكالجائِعِ الذي يَصِفُ لَذائِذَ الأطعِمةِ ولا يَجِدُها ".

٢- أخرجه البخاري ومسلم من حَديثِ أبي موسى الأشعَريِّ ﷺ بلَفظِ:" ومَثَلُ المُنافِقِ الذي يَقرَأُ القُرآنَ مَثَلُ الرَّيحانةِ؛ رِيحُها طَيِّبٌ، وطَعمُها مُرٌّ".

٣- أخرجه مسلم عن حَفصةَ أنَّها قالت:" ما رَأيتُ رَسولَ اللهِ ﷺ صَلَّى في سُبحَتِه قاعِدًا حَتَّى كان قَبلَ وَفاتِه بعامٍ، فكان يُصَلِّي في سُبحَتِه قاعِدًا، وكان يَقرَأُ بالسُّورةِ فيُرَتِّلُها حَتَّى تَكونَ أطولَ مِن أطولَ مِنها".

٤- فقد أخرج الطحاوي في" شرح معاني الآثار" والدارقطني واللفظ له والبيهقي عن مُحَمَّدِ بنِ المُنكَدِرِ عن عَبدِ الرَّحمَنِ بنِ عُثمانَ قال: قُلتُ:" لا يَغلِبُني اللَّيلةَ على المقامِ أحَدٌ، فجاءَ رَجُلٌ حَتَّى وضَعَ يَدَه بَينَ كَتِفَيَّ، فالتَفَتُّ فإذا أميرُ المُؤمِنينَ عُثمانُ، فتَنَحَّيتُ فافتَتَحَ القُرآنَ فقَرَأه في رَكعةٍ، فقُلتُ: يا أميرَ المُؤمِنينَ، إنَّما صَلَّيتَ رَكعةً! فقال: هيَ وِتري ". (صحَّحه ابن حجر في" نتائج الأفكار").

والصَّوابُ في المَسألةِ أن يُقالَ: إنَّ ثَوابَ قِراءةِ التَّرتيلِ والتَّدَبُّرِ أجَلُّ وأرفَعُ قَدْرًا، وثَوابُ كَثرةِ القِراءةِ أكثَرُ عَدَدًا؛ فالأوَّلُ: كَمَن تَصَدَّق بجَوهَرةٍ عَظيمةٍ، أو أعتَقَ عَبدًا قِيمتُه نَفيسةٌ جِدًّا، والثَّاني: كَمَن تَصَدَّق بعَدَدٍ كَثيرٍ مِنَ الدَّراهِمِ، أو أعتَقَ عَدَدًا مِنَ العَبيدِ قِيمتُهم رَخيصةٌ. وفي صَحيحِ البُخاريِّ عن قتادةَ قال: "**سَأَلْتُ أَنَسًا عن قِراءةِ النَّبيِّ ﷺ، فقال: كان يَمُدُّ مَدًّا**". وقال شُعبةُ: حَدَّثَنا أبو جَمرةَ، قال: قُلتُ لابنِ عَبَّاسٍ: إنِّي رَجُلٌ سَريعُ القِراءةِ، ورُبَّما قَرَأتُ القُرآنَ في لَيلةٍ مَرَّةً أو مَرَّتَينِ، فقال ابنُ عَبَّاسٍ: لَأن أقرَأَ سورةً واحِدةً أعجَبُ إليَّ مِن أن أفعَلَ ذلك الذي تَفعَلُ، فإن كُنتَ فاعِلًا ولا بُدَّ فاقرَأ قِراءةً تُسمِعُ أُذُنَيك، ويَعيها قَلبُك[1]. وقال إبراهيمُ: قَرَأ عَلقَمةُ على ابنِ مَسعودٍ، وكان حَسَنَ الصَّوتِ، فقال: رَتِّلْ، فِداك أبي وأُمِّي؛ فإنَّه زَينُ القُرآنِ[2].

الأدب الثالث عشر: يستحب عند قراءة القرآن الوُقوفُ عِندَ كُلِّ آيةٍ:

يُستَحَبُّ للقارِئِ أن يُقَطِّعَ قِراءَتَه آيةً آيةً، فيَقِفَ على رُؤوسِ الآياتِ وإن تَعَلَّقَت بما بَعدَها، ولا يُدرِجَها إدراجًا. (شعب الإيمان للبيهقي:٣/ ٣٢٨) (شرح العمدة-صفة الصلاة لابن تيمية ص: ١٨٩).

***أخرج أبو داود والترمذي واللفظ له وأحمد عن أُمِّ سَلَمةَ رَضِيَ اللهُ عنها قالت:* كان رَسولُ اللهِ ﷺ يُقَطِّعُ قِراءَته؛ يَقرَأُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، ثُمَّ يَقِفُ، ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، ثُمَّ يَقِفُ ".**

(صحيح سنن الترمذي:٢٩٢٧) (وصحَّحه شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند:٢٦٥٨٣).

قال ابنُ بَطَّالٍ-رحمه الله-: " وإنَّما كان يَفعَلُ ذلك -واللَّهُ أعلَمُ- لأمرِ اللهِ له بالتَّرتيلِ، وأن يَقرَأَه على مُكثٍ، وألَّا يُحَرِّكَ به لسانَه ليَعجَلَ به؛ فامتَثَلَ أمرَ رَبِّه تعالى، فكان يَقرَؤُه على مَهلٍ؛ ليُبَيِّنَ لأُمَّتِه كَيف يقرؤون، وكَيف يُمكِنُهم تَدَبُّرُ القُرآنِ وفَهمُه.

قال الحَليميُّ-رحمه الله-: " أمَّا تَقطيعُ القُرآنِ آيةً آيةً، فإنَّه أَولى عِندَنا مِن تَتَبُّعِ الأغراضِ والمَقاصِدِ، والوُقوفِ عِندَ انتِهائِها ". (المنهاج في شعب الإيمان:٢/ ٢٤٦).

وقال ابنُ القَيِّمِ-رحمه الله-: " والأفضَلُ الوُقوفُ على رُؤوسِ الآياتِ وإن تَعَلَّقَت بما بَعدَها، وذَهَبَ بَعضُ القُرَّاءِ إلى تَتَبُّعِ الأغراضِ والمَقاصِدِ، والوُقوفِ عِندَ انتِهائِها. واتِّباعُ هَدْيِ النَّبيِّ ﷺ وسُنَّتِه أَولى ".

(زاد المعاد لابن القيم:١/ ٣٢٦)

وَوَصَفَ حُذَيْفَةُ رضي الله عنه قِرَاءَةَ النَّبِيِّ ﷺ قَائِلًا: " **يَقْرَأُ مُتَرَسِّلًا، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ**". (رَوَاهُ مُسْلِمٌ).

تنبيه: الوقوف على رؤوس الآي من كمال القراءة، وهو الأفضل، ولكن لو تلا بِضْعَ آياتٍ بنَفَسٍ واحد؛ صحَّ وجاز.

١- أخرجه البيهقي وأبو عبيد القاسم بن سلام في" فضائل القرآن".
٢ - أخرجه ابن سعد في" الطبقات الكبرى"، وابن أبي شيبة والبيهقي.

الأدب الرابع عشر: لا ينكس في آيات القرآن، أو يخلط سورة بسورة:

أخرج الطبراني بسند جيد عن عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ ﷺ أنه قيل له: **إن فلانًا يقرأُ القرآنَ منكوسًا؟ فقال: ذلك منكوسُ القلبِ[1] ".**

قال ابن الأثير-رحمه الله- في" النهاية"، مادة "نكس": قيل: هو أن يبدأ من آخر السورة حتى يقرأها إلى أولها. **وقيل:** هو أن يبدأ من آخر القرآن فيقرأ السور، ثم يرتفع إلى البقرة ". اهـ

(النهاية في غريب الحديث والأثر:٥/٢٤١)

والتنكس المنهي عنه هو تنكيس الآيات: وهو أن يبدأ القارئ بقراءة السورة من آخرها إلى أولها (عكس ترتيب الآيات)، وهذا منهي عنه ومحرم عند العلماء؛ ومتفق على منعه، لأنه يزيل حكمة الترتيب التوقيفي ويذهب بعض ضروب الإعجاز، ومن صور التنكيس المنهي عنه أيضًا: خلط سورة بسورة.

أما قراءة سورة قبل سورة بخلاف ترتيب المصحف، فهذا الأمر جائز، وإن كان الأفضل أن يُقرأ على ترتيب المصحف: **قال في شرح المهذب:** لأن ترتيبه لحكمة، فلا يتركها إلا فيما ورد فيه الشرع، كصلاة صبح يوم الجمعة ب" الم تنزيل" و" هل أتى" ونظائره، فلو فرق السور أو عكسها جاز وترك الأفضل.

فالقارئ لو قرأ سورة قبل سورة فلا شيء عليه، ولا يأثم بذلك، لأن ترتيب السور ليس توقيفيًا على الراجح، فقد ذهب جمهور العلماء إلى أن ترتيب السور في المصحف ليس توقيفيًا، بل تم باجتهاد من الصحابة في عهد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ؛ ولذلك اختلفت ترتيب المصاحف قبل ذلك كمصحف ابن مسعود ومصحف أبي بن كعب.

ومما يؤيد جواز قراءة سورة قبل سورة:

١- ***ما رواه مسلم من حديث حذيفة ﷺ قال:*** **صَلَّيتُ مع النَّبيِّ ﷺ ذاتَ لَيلةٍ، فافتَتَحَ البَقَرةَ، فقُلتُ: يَركَعُ عِندَ المِائةِ، ثُمَّ مَضى، فقُلتُ: يُصَلِّي بها في رَكعةٍ، فمَضى، فقُلتُ: يَركَعُ بها، ثُمَّ افتَتَحَ النِّساءَ، فقَرَأها، ثُمَّ افتَتَحَ آلَ عِمرانَ، فقَرَأها...".** الحديث

والشاهد من الحديث: أنه قرأ النساء قبل آل عمران.

قال النووي-رحمه الله-: " قال القاضي عياض: فيه دليل لمن يقول إن ترتيب السور اجتهاد من المسلمين حين كتبوا المصحف، وإنه لم يكن ذلك من ترتيب النبي ﷺ بل وَكَله إلى أمته بعده. **قال:** وهذا قول مالك وجمهور العلماء، واختاره القاضي أبو بكر الباقلاني، قال ابن الباقلاني: هو أصح القولين مع احتمالهما. قال: والذي نقوله: إن ترتيب السور ليس بواجب في الكتابة، ولا في الصلاة، ولا في الدرس، ولا في التلقين، والتعليم، وأنه لم يكن من النبي ﷺ في ذلك نص، ولا حدٌّ تحرم مخالفته، ولذلك اختلف ترتيب المصاحف

١- لماذا سُمي فاعله "منكوس القلب"؟ لأن الله -عز وجل- رتب القرآن الكريم على نسق معين لحكمة بالغة في هداية القلوب وتدبر الآيات. فمن خالف هذا الترتيب المأمور به عمدًا، فقد عُكس أمره، وانقلب عليه مقصود التلاوة؛ بدلًا من أن يكون قلبه مقبلًا على تدبر المعاني والاتعاظ بالآيات على ترتيبها الإلهي، أصبح قلبه مقلوبًا (منكوسًا) لتركه الهدي المأثور والسنة الصحيحة في التلاوة.

قبل مصحف عثمان. قال: واستجاز النبي ﷺ والأمة بعده في جميع الأعصار ترك ترتيب السور في الصلاة والدرس والتلقين. **قال:** وأما على قول من يقول من أهل العلم: إن ذلك بتوقيف من النبي ﷺ حدده لهم كما استقر في مصحف عثمان،- وإنما اختلاف المصاحف قبل أن يبلغهم التوقيف والعرض الأخير-، فيتأول قراءته ﷺ النساء أولا ثم آل عمران هنا على أنه كان قبل التوقيف والترتيب، وكانت هاتان السورتان هكذا في مصحف أبيّ. **قال:** ولا خلاف أنه يجوز للمصلي أن يقرأ في الركعة الثانية سورة قبل التي قرأها في الأولى، وإنما يكره ذلك في ركعة ولمن يتلو في غير صلاة. **قال:** وقد أباحه بعضهم. وتأويل نهي السلف عن قراءة القرآن منكوسا على من يقرأ من آخر السورة إلى أولها. **قال:** ولا خلاف أن ترتيب آيات كل سورة بتوقيف من الله تعالى على ما هي عليه الآن في المصحف، وهكذا نقلته الأمة عن نبيها ﷺ. هذا آخر كلام القاضي عياض. والله أعلم. **(شرح مسلم للنووي:٦/ ٦١) (نيل الأوطار للشوكاني:٢/٢٥٢).**

وقال السندي-رحمه الله-: " وقوله:" ثم افتتح آل عمران " مقتضاه عدم لزوم الترتيب بين السور في القراءة. **(شرح النسائي:٣ /٢٢٦)**

٢- ***ومما يدل على الجواز كذلك ما رواه البخاري من حديث أنس بن مالك ﷺ قال:*** **كان رَجُلٌ مِنَ الأنصارِ يَؤُمُّهم في مَسجِدِ قُباءٍ، وكان كُلَّما افتَتَحَ سورةً يَقرَأُ بها لهم في الصَّلاةِ ممَّا يُقرَأُ به افتَتَحَ: بـ ﴿قُل هو اللهُ أحَدٌ﴾ حتَّى يَفرُغَ مِنها، ثُمَّ يَقرَأُ سورةً أُخرى معها، وكان يَصنَعُ ذلك في كُلِّ رَكعةٍ، فكَلَّمَه أصحابُه، فقالوا: إنَّك تَفتَتِحُ بهذه السُّورةِ، ثُمَّ لَا تَرى أنَّها تُجزِئُك حتَّى تَقرَأَ بأُخرى، فإمَّا تَقرَأُ بها، وإمَّا أن تَدَعَها وتَقرَأَ بأُخرى، فقال: ما أنا بتارِكِها، إن أحبَبتُم أن أؤُمَّكُم بذلك فعَلتُ، وإن كَرِهتُم تَرَكتُكُم، وكانوا يَرَونَ أنَّه مِن أفضَلِهم، وكَرِهوا أن يَؤُمَّهم غَيرُه، فلَمَّا أتاهمُ النَّبيُّ ﷺ أخبَروه الخَبَرَ، فقال:" يا فُلَانُ، ما يَمنَعُك أن تَفعَلَ ما يَأمُرُك به أصحابُك، وما يَحمِلُك على لُزومِ هذه السُّورةِ في كُلِّ رَكعةٍ"، فقال: إنِّي أُحِبُّها، فقال:" حُبُّك إيَّاها أدخَلَك الجَنَّةَ ".**

والشاهد من الحديث: قراءة الرجل سورة الإخلاص في صلاته قبل المتقدِّم عليها، وقد أقرَّه النبي ﷺ.

٣- ***وجاء في صحيح البخاري:" كتاب الأذان- باب الجمع بين السورتين في الركعة". قال البخاري:*** " وقرأ الأحنف بالكهف في الأولى وفي الثانية بيوسف أو يونس وذكر أنه صلى مع عمر ﷺ الصبح بهما.

والخلاصة: أن التنكس المنهي عنه هو تنكيس الآيات: وهو أن يبدأ القارئ بقراءة السورة من آخرها إلى أولها (عكس ترتيب الآيات)، وهذا منهي عنه ومحرم عند العلماء، ومن صور التنكيس المنهي عنه أيضًا: خلط سورة بسورة، أما قراءة سورة قبل سورة بخلاف ترتيب المصحف، فهذا الأمر جائز، وإن كان الأفضل أن يُقرأ على ترتيب المصحف.

الأدب الخامس عشر: يستحب تحسينُ الصَّوتِ عند قراءة القرآن:

فتحسين الصوت عند قراءة القرآن أمر مستحب دعا إليه الشرع الحكيم.

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " ما أذِنَ اللهُ[1] لشَيءٍ ما أَذِنَ لنَبيٍّ حَسَنِ الصَّوتِ يَتَغَنَّى بالقُرآنِ، يَجهَرُ به ".

معنى" أَذِنَ الله": أي استمعَ، وهو إشارة إلى الرضا والقبول. ومعنى "يتغنَّى": يُحسِّن صوته جاهرًا مترنِّمًا على طريق التحزُّن، مما له تأثير في رقة القلب وإجراء الدمع. (النووي في رياض الصالحين)

وأخرج البخاري ومسلم من حديث البَراءِ ﷺ قال: " سَمِعتُ النَّبيَّ ﷺ يَقرَأُ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ في العِشاءِ، وما سَمِعتُ أحَدًا أحسَنَ صَوتًا مِنه أو قِراءةً ".

وأخرج أَبُو دَاودَ والدارمي والحاكم واللفظ له والبيهقي في" شعب الإيمان" عنِ البَراءِ بْنِ عَازِبٍ ﷺ قال: قال رَسولُ اللهِ ﷺ: " زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ؛ فإنَّ الصَّوتَ الحَسَنَ يَزيدُ القُرآنَ حُسنًا ".

(صحيح الجامع:٣٥٨١) (صحيح سنن أبي داود:١٤٦٨)

- وَفِي لَفْظٍ لِلدَّارِمِيِّ: " حَسِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ، فَإِنَّ الصَّوْتَ الْحَسَنَ يَزِيدُ الْقُرْآنَ حُسْنًا ".

وأخرج الإمام أحمد والنسائي في" السنن الكبرى" والطبراني عن عُقبةَ بنِ عامرٍ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " تَعلَّموا كِتابَ اللهِ، وتَعاهَدوه وتَغَنَّوا به؛ فوالذي نَفسي بيَدِه لَهو أشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ المَخاضِ في العُقُلِ[2]".

(صحيح الجامع:٢٩٦٤) (وصحَّحه شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند)

وأخرج البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " ليس مِنَّا مَن لَم يَتَغَنَّ بالقُرآنِ[3] ".

قال المناوي-رحمه الله- في شرح هذا الحديث: " يعني لم يُحسن صوته به، لأن التطريب به أوقع في النفوس، وأدعى للاستماع والإصغاء، وهي كالحلاوة التي تُجعل في الدواء لتنفيذه إلى أمكنة الداء، وكالتوابل التي يطيب بها الطعام، ليكون الطبع أدعى قبولًا له، لكن شرطه ألا يغير اللفظ، ولا يُخلّ بالنظم، ولا يُخفي حرفًا، ولا يزيد حرفًا، وإلا حَرُم إجماعًا ". اهـ.

وأخرج أبو داود واللفظ له والطبراني والبيهقي عن عَبدِ الجَبَّارِ بنِ الوَرْدِ قال: سَمِعتُ ابنَ أبي مُلَيكةَ يَقولُ: قال عُبيدُ اللهِ بنُ أبي يَزيدَ: مَرَّ بنا أبو لُبابةَ فاتَّبَعْناه حَتَّى دَخَلَ بَيتَه، فدَخَلنا عليه، فإذا رَجُلٌ رَثُّ البَيتِ[4]، رَثُّ الهَيئةِ، فسَمِعتُه يَقولُ: سَمِعتُ رَسولَ اللهِ ﷺ يَقولُ:" ليس مِنَّا مَن لَم يَتَغَنَّ بالقُرآنِ". قال: فقُلتُ لابنِ أبي مُلَيكةَ: يا أبا مُحَمَّدٍ، أرَأيتَ إذا لَم يَكُنْ حَسَنَ الصَّوتِ؟ قال: يُحسِّنُه ما استَطاعَ ".

(صحيح الترغيب:١٤٥١)

١- ما أذِنَ اللهُ: أي ما ما استَمَعَ اللهُ لشَيءٍ كاستِماعِه لنَبيٍّ يَتَغَنَّى بالقُرآنِ، فالأَذْنُ هاهنا الاستِماعُ؛ لدَلالةِ السِّياقِ عليه، وكما قال تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ(١) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ(٢) وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ(٣) وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ(٤) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ (الانشقاق:١- ٥)، أي: استَمَعَت لرَبِّها، وحُقَّت، أي: وحُقَّ لَها أن تَستَمِعَ أمرَه وتُطيعَه. (غريب الحديث للقاسم بن سلام:١/ ٣٤٦)(شرح السنة للبغوي:٤/ ٤٨٤).

٢- قال المُناويُّ-رحمه الله-: وقوله ﷺ:" تَعلَّموا كِتابَ اللهِ": أي القُرآنَ احفَظوه وتَفَهَّموه،" وتَعاهَدوه" زادَ في رِوايةٍ:" واقتَنوه": أي الزَموه،" وتَغَنَّوا به": أي اقرَؤوه بتَحزينٍ وترَقيقٍ، وليس المُرادُ قِراءَتَه بالألحانِ والنَّغَماتِ،" فوالذي نَفسي بيَدِه لَهو أشَدُّ تَفَلُّتًا": أي ذَهابًا،" مِنَ المَخاضِ": أي النُّوقِ الحَوامِلِ،" في العُقُلِ": جمعُ عِقالٍ، وعُقِلَتْ البَعيرَ: حَبَستُه، وخُصَّ ضَربُ المَثَلِ بها؛ لأنَّها إذا انفلَتَت لا تَكادُ تُلحَقُ ". (فيض القدير:٣/ ٢٥٥)

٣- قال المُناوي- رحمه الله-:" يَتَغَنَّ بالقُرآنِ: أي يُحسِّن صوته به، شريطة ألا يزيد حرفًا ولا ينقص حرفًا، فالتغني هو: التلاوة على قواعد التجويد.

٤- رَثُّ البَيتِ: أي رَثُّ مَتاعِ البَيتِ، أي: مَتاعُه دونٌ مِنَ الخَلقِ، وقيل: المرادُ: عَتيقُ البَيتِ دونَه ليسَ هو مِنَ البُيوتِ المُرتَفِعةِ، والرَّثُّ: الشَّيءُ البالي.

(شرح سنن أبي داود لابن رسلان:٧/ ١٩٢)

قال النَّوَويُّ-رحمه الله-: " قال جمهورُ العُلَماءِ: مَعنى" **لَم يَتَغَنَّ**": لَم يُحسِّنْ صَوتَه... قال العُلَماءُ رَحِمَهمُ اللهُ: فيُستَحَبُّ تَحسينُ الصَّوتِ بالقِراءةِ وتَزيينُها ما لَم يَخرُجْ عن حَدِّ القِراءةِ بالتَّمطيطِ، فإن أفرَطَ حَتَّى زادَ حَرفًا أو أخفاه فهو حَرامٌ ". (التبيان في آداب حملة القرآن ص: ١١٠).

وقال ابنُ الجَوزيِّ-رحمه الله-: " اختَلَف العُلَماءُ في مَعنى" يَتَغَنَّى بالقُرآنِ" على أربَعةِ أقوالٍ؛ **أحَدُها:** أنَّه تَحسينُ الصَّوتِ به. **والثَّاني:** أنَّ المَعنى: يَستَغني به... فعَلى هذا يَكونُ المَعنى: مَن لَم يَستَغنِ بالقُرآنِ عنِ الإكثارِ مِنَ الدُّنيا؛ لأنَّه يُنَبِّهُه على تَركِ الفُضولِ، ويَحُثُّه على طَلَبِ الآخِرةِ. **والثَّالثُ:** أنَّ المَعنى: يَتَحَزَّنُ به ويَتَرَنَّمُ، قاله الشَّافِعيُّ، وكَذلك قال أبو عُبَيدٍ: هو عِندَنا تَحزينُ القِراءةِ. **والرَّابعُ:** أنَّه التَّشاغُلُ به عن مَكانِ التَّغَنِّي، قال ابنُ الأعرابيِّ: كانتِ العَرَبُ تَتَغَنَّى بالرُّكبانِ إذا رَكِبَتِ الإبِلَ، وإذا جَلَسَت في الأفنِيةِ، وعَلى أكثَرِ أحوالِها، فلَمَّا نَزَلَ القُرآنُ أحَبَّ النَّبيُّ ﷺ أن يَكونَ القُرآنُ هِجِّيراهم مَكانَ التَّغَنِّي بالرُّكبانِ ".

(غريب الحديث للقاسم بن سلام:١/ ٣٨٤) (زاد المعاد لابن القيم:١/ ٤٦٨) (فتح الباري لابن حجر:٩/ ٧٠).

وأخرج عبد الرزاق والنسائي في" السنن الكبرى" واللفظ له والبيهقي في" شعب الإيمان" عن عَبدِ اللهِ بنِ بُرَيدةَ، عن أبيه، قال: **مَرَّ النَّبيُّ ﷺ على أبي موسى ذاتَ ليلةٍ وهو يقرأُ، فقال: لقد أُعطِيَ من مزاميرِ آلِ داودَ[1]! فلمَّا أصبَحَ ذكروا ذلك له، فقال: لو كُنتَ أعلَمْتَني لحَبَّرتُ[2] ذلك تحبيرًا ".**

(سلسلة الأحاديث الصحيحة:٧/١٤٨٣).

وأخرجه الحاكم من حديثِ أبي بُردةَ بنِ أبي موسى قال: **مَرَّ النَّبيُّ ﷺ بأبي موسى ذاتَ ليلةٍ ومعه عائشةُ، وأبو موسى يقرأُ فقاما فاستمعا لقراءتِه، ثمَّ مَضَيا، فلمَّا أصبح أبو موسى، وأتى النَّبيَّ ﷺ، فقال النَّبيُّ ﷺ: مررتُ بك يا أبا موسى البارحةَ وأنت تقرأُ، فاستَمَعنا لقراءتِك، فقال أبو موسى: يا نبيَّ اللهِ، لو عَلِمتُ بمكانِك لحبَّرتُ لك تحبيرًا ".**

وكان عاصم أبو النُّجود إذا قرأ كأنما في حَلْقِهِ جَلاَجِل.

واستمع النبي ﷺ إلى قراءة سالم مولى أبي حذيفة، وكان حسن الصوت فقال: **" الحمد لله الذي جعل في أمتي مثل هذا ".** (رواه ابن ماجه بسند جيد)

وذَكَرَ أبو عُبَيدٍ عن إبراهيمَ قال: **قَرَأَ عَلقَمةُ على عَبدِ اللهِ بن مسعود ﷺ، فكَأنَّه عَجِلَ، فقال عَبدُ اللَّهِ: فِداك أبي وأُمِّي، رَتِّلْ قِراءَتَه، زَيِّنِ القُرآنَ! وكان عَلقَمةُ حَسَنَ الصَّوتِ بالقُرآنِ ".** (شرح البخاري:١٠/ ٢٧٤)

١- شَبَّه حُسنَ صَوتِه وحَلاوةَ نَغمَتِه بصَوتِ المِزمارِ، وهو مِن آلاتِ الغِناءِ، فضَرَبَ المِزمارَ مَثَلًا لحُسنِ صَوتِه وحَلاوةِ نَغمَتِه، كَأنَّ في حَلقِه مَزاميرَ يُزَمِّرُ بها، وداودُ هو النَّبيُّ عليه السَّلامُ، وإليه المُنتَهى في حُسنِ الصَّوتِ بالقِراءةِ. وقَولُه:" آلِ داودَ" أي: داودَ نَفسِه؛ لأنَّه لم يُذكَرْ أنَّ أحَدًا مِن آلِ داودَ كان أُعطيَ مِن حُسنِ الصَّوتِ ما أُعطيَ داودُ، فذِكرُ الآلِ هنا صِلةٌ، كَما يُقالُ: مِثلُك لا يَفعَلُ كَذا، ويُريدونَ: أنتَ لا تَفعَلُ، وقيل: الآلُ: يَقَعُ على ذاتِ الشَّيءِ، وعلى ما يُضافُ إليه.
(غريب الحديث للخطابي:١/ ٣١٨)(جامع الأصول لابن الأثير:٩/ ٨٠) (النهاية لابن الأثير:٢/ ٣١٢)

٢- التَّحبيرُ: التَّحسينُ والتَّزيينُ، والمحَبَّرُ: الشَّيءُ المُزَيَّنُ. (كشف المشكل لابن الجوزي:١/ ٤١٥) (جامع الأصول لابن الأثير:٩/ ٨٠).

قال القاضي عِياضٌ-رحمه الله-: " لا خِلافَ في أنَّ حُسنَ الصَّوتِ في القِراءة مُستَحسَنٌ، والتَّرتيلَ فيها وتَحسينَ تِلاوةِ القُرآنِ مَشروعٌ مَندوبٌ إليه ". **(إكمال المعلم:٣/ ١٦٠)**.

وقال النَّوويُّ-رحمه الله-: " قال القاضي: أجمَعَ العُلَماءُ على استِحبابِ تَحسينِ الصَّوتِ بالقِراءةِ وتَرتيلِها ".
(شرح مسلم:٦/ ٨٠)

وقال النَّوويُّ أيضًا: " أجمَعَ العُلَماءُ رَضيَ اللهُ عنهم مِنَ السَّلَفِ والخَلفِ مِنَ الصَّحابةِ والتَّابِعينَ ومَن بَعدَهم مِن عُلَماءِ الأمصارِ أئِمَّةِ المُسلِمينَ على استِحبابِ تَحسينِ الصَّوتِ بالقُرآنِ، وأقوالُهم وأفعالُهم مَشهورةٌ نِهايةَ الشُّهرةِ... ودَلائِلُ هذا مِن حَديثِ رَسولِ اللهِ ﷺ مُستَفيضةٌ عِندَ الخاصَّةِ والعامَّةِ ".
(التبيان في آداب حملة القرآن ص: ١٠٩)

تنبيهات:

١- يستحب طلب القراءة من حسن الصوت، وهذا أدعى للتفكر والتدبر.

فقد أخرج البخاري من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ: " **اقرأ عليَّ، قُلتُ: آقرأُ عليك وعليك أُنزِلَ؟ قال: فإنِّي أُحِبُّ أن أسمعَه مِن غَيري، فقَرَأتُ عليه سورةَ النِّساءِ، حتَّى بَلَغتُ: ﴿فكَيفَ إذا جِئنا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهيدٍ وجِئنا بِك على هؤلاء شَهيدًا﴾(النساء:٤١)، قال: أمسِكْ، فإذا عَيناه تَذرِفانِ[1]**".

٢- المراد من تحسين الصوت بالقرآن: تطريبه وتحزينه، والتخشُّع منه.

فقد أخرج ابن ماجه من حديث جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " **إنَّ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ صَوْتًا بِالْقُرْآنِ الَّذِي إِذَا سَمِعْتَهُ يَقْرَأُ، رَأَيتَ أَنَّهُ يَخْشَى اللهَ** ". **(صحيح الجامع: ٢٢٠٢) (صحيح رواه ابن ماجه:١٣٣٩)**

قال طاووس-رحمه الله-: " أحسن الناس صوتًا بالقرآن: أخشاهم لله ".

٣- ظن البعض أن المقصود من تحسين الصوت عند قراءة القرآن أن يقرأ بالمقامات والألحان المُطَرِّبة، وهذا خطأ، وفهم سقيم مغلوط:

قال الحافظ ابن كثير-رحمه الله- كما في "فضائل القرآن" ص١٩٥: "وقول النبي ﷺ:" **ليس مِنَّا مَن لَم يَتَغَنَّ بالقُرآنِ**"، والغرض أن المطلوب شرعًا، إنما هو التحسين بالصوت الباعث على تدبُّر القرآن وتفهمه، والخشوع والخضوع والانقياد للطاعة، فأما الأصوات بالنغمات المحدثة، المركَّبة على الأوزان، والأوضاع الملهية، والقانون الموسيقائي، فالقرآن يُنزَّه عن هذا ويُجَلُّ ويعظَّم أن يسلك في أدائه هذا المذهب.

وقال الحافظ ابن حجر-رحمه الله-: " أما تحسين الصوت، وتقديم حسن الصوت على غيره فلا نزاع في ذلك، لكن هناك مَن يخرج عن قواعد التجويد، وتدبُّر القرآن، ويتغنى بالقرآن (كما يتغنَّى بالألحان)، وقد نهى النبي العدنان ﷺ عن هذا ".

١- تَذرِفانِ: أي تسيلان بالدموع.

فقد أخرج أبو عبيد في "فضائل القرآن" والبيهقي في "الشعب" والطبراني في "الأوسط" بسند فيه مقال عن حذيفة بن اليمان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" اقرءوا القرآن بلحون العرب وأصواتها، وإياكم ولحون أهل الفسق وأهل الكتابين، وسيجيء قوم من بعدي يُرجِّعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنَّوح لا يجاوز حناجرهم، مفتونة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شأنهم ".**

وإن كان الحديث فيه مقال إلا أن المعنى صحيح، *ويشهد له ما أخرجه الإمام أحمد والطبراني في "الكبير" والبخاري في "التاريخ" عن عابس الغفاري ﷺ قال:* **" سمعت رسول الله ﷺ يتخوَّف على أمته ست خصال: إمْرَة الصبيان، وكثرة الشُّرَط، والرشوة في الحكم- *وفي رواية:* بيع الحكم - وقطيعة الرحم، واستخفاف بالدم، وَنَشْوًا يَتَّخِذُونَ القُرآنَ مَزَامِيرَ، يُقَدِّمُونَ الرَّجُلَ لَيْسَ بِأَفْقَهِهِمْ وَلاَ أَعْلَمِهِمْ، مَا يُقَدِّمُونَهُ إِلاَّ لِيُغَنِّيَهُمْ**

والمراد بالتغني هنا: ما يكون من التطريب والتمطيط والتلحين في القراءة، وما كان متكلفًا زائدًا على قواعد التجويد واللغة العربية. وهُم بذلك لا يقصدون فهم معانيه من أمر أو نهي، أو وعد، أو وعيد، أو وعظ، أو تخويف، أو ضرب مثل، أو اقتضاء حكم... وغير ذلك مما جاء به القرآن، والقرآن إنما أنزل لنتدبر آياته، ونفهم معانيه، **كما قال تعالى:** ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ (سورة ص:٢٩)، ولهذا يُمنع أن يُقرأ بالألحان المطربة والمشبهة للأغاني، فذلك ضد الخشوع، ونقيض الخوف والوجل.

قال الإمام مالك-رحمه الله-: " ولا تعجبني القراءة بالألحان، ولا أحبُّها في رمضان ولا في غيره؛ لأنه يشبه الغناء ويضحك بالقرآن ويقول: فلان أقرأ من فلان، وبلغني أن الجواري يُعلَّمن ذلك كما يعلمن الغناء ".

وقال القرطبي-رحمه الله-: " قال علماؤنا: إن قراءة القرآن بلغَتْنا متواترة عن كافة المشايخ جيلًا فجيلًا إلى العصر الكريم إلى رسول الله ﷺ، وليس فيها تلحين ولا تطريب، ثم إن في الترجيع والتطريب همز ما ليس بمهموز، ومدَّ ما ليس بممدود، فترجع الألف الواحدة ألفات والواو الواحدة واوات؛ فيؤدي ذلك إلى زيادة في القرآن، وذلك ممنوع ". اهـ **(الجامع لأحكام القرآن:١/٢٩٣٠).**

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله- في" كتابه الاستقامة:١/ ٢٤٦": " ولا يسوغ أن يقرأ القرآن بألحان الغناء، ولا أن يُقرَن به من الألحان ما يُقرَن بالغناء من الآلات وغيرها ". اهـ

وقال الشيخ حسنين مخلوف (مفتي الديار المصرية سابقًا) في" كتابه القرآن الكريم آداب تلاوته، وسماعه": " وتحسين الصوت بالقراءة إنما يُستحَبُّ ويُمدَح إذا كان في نطاق الحدود المرسومة في علم التجويد كما قدَّمنا، أما إذا خرج التحسين بالتلاوة عن الحَدِّ المقرَّر إلى حدِّ التمطيط والغناء الموسيقي، فهو مذموم مُحرَّم شرعًا، يأثَم فاعلُه ويُعزَّر[1]". **(البيان لحكم قراءة القرآن بالألحان د/ أيمن رشدي سويد، ص٣٨)**

١- التعزير: هو العقوبة التي يُوقِّعُها ولي الأمر على من ارتكب مُحرَّمًا ليس له حَدٌّ مُقرَّر في الشرع.

الأدب السادس عشر: عدم الجهر بالقرآن:

فقد أخرج أبو داود والتِّرْمِذِيُّ والنسائي من حديث عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: "الجَاهِرُ بِالْقُرْآنِ كَالجَاهِرِ بِالصَّدَقَةِ، وَالمُسِرُّ[1] بِالْقُرْآنِ كَالمُسِرِّ بِالصَّدَقَةِ ". (صحيح أبي داود: ١٣٣٣)

وقول النبي ﷺ: " والمُسِرُّ بالقرآنِ كالمُسِرِّ بالصَّدقةِ": أي مَن يقرأُ في سِرِّه ويتَدبَّرُ بعَقلِه مِثل الَّذي يُخفِي صَدَقتَه عن أعيُنِ النَّاسِ، والإسرارُ أفضلُ في حَقِّ مَن يَخافُ الرِّياءَ؛ لأنَّ الإسرارَ أبعدُ عن الرِّياءِ؛ فإنْ لم يَخَفْ، فالجهرُ أفضلُ بشَرْط ألَّا يُؤذِي غيرَه ولا يتأذَّى بقِراءتِه أحدٌ كمُصلٍّ أو نائمٍ أو غيرِهما، والعملُ في الجَهرِ أكثرُ، ويَتعدَّى نفْعُه إلى غيرِ القارئِ؛ ويُوقِظُ قلبَ القارِئ، ويَجمَع همَّه إلى الفِكر، ويصرِفُ سمْعَه إليه؛ ويطرُد النومَ، ويزيدُ في النشاط؛ فمتَى حضَره شيءٌ من هذه النِّيات؛ فالجهرُ أفضلُ؛ فإذا كان الجهرُ يترتَّبُ عليه مصلحةٌ، فهذا الجهرِ أوْلَى، وإذا لم يَكُن في الجَهرِ مَصلحةٌ فالإسرارُ أَوْلَى، فهذا أفضلُ مِن هذه الناحيةِ. وقيل: ما كان فيه التدبرُ أتمَّ فهو الأفضلُ. (الدرر السنية)

الأدب السابع عشر: عَدَمُ رَفعِ الصَّوتِ عند قراءة القرآن إذا كان يُؤذي غَيرَه:

لا يَنبَغي لقارِئِ القُرآنِ الكَريمِ أن يَرفعَ صَوتَه إذا كان ذلك يُشَوِّشُ على الآخَرينَ، أو يُؤذيهم ويُلبِّسُ عليهم صَلاتَهم ويَخلِطُها عليهم. (التبيان في آداب حملة القرآن للنووي ص: ١٠٧).

والأدلة على ذلك كثيرة، ومنها:

ما أخرجه الإمام أحمد وأبو داود واللفظ له من حديث أبي سَعيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ قال: " اعْتَكَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ، فَسَمِعَهُمْ يَجْهَرُونَ بِالْقِرَاءَةِ، فَكَشَفَ السِّتْرَ، وَقَالَ:" أَلَا إِنَّ كُلَّكُمْ مُنَاجٍ رَبَّهُ، فَلَا يُؤْذِيَنَّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَلَا يَرْفَعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الْقِرَاءَةِ، أو قال: في الصَّلاةِ ". (صحيح سنن أبي داود:١٣٣٢)

أخرج الإمام أحمد واللفظ له وابن خزيمة والطبراني من حديث عَبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رَضيَ اللهُ عنهما: " أنَّ النَّبيَّ ﷺ اعتَكَف وخَطَبَ النَّاسَ، فقال: أمَا إنَّ أحَدَكُم إذا قامَ في الصَّلاةِ فإنَّه يُناجي رَبَّه، فليَعلَمْ أحَدُكُم ما يُناجي رَبَّه، ولا يَجهَرْ بَعضُكُم على بَعضٍ بالقِراءةِ في الصَّلاةِ ".

(صحَّح إسنادَه أحمد شاكر في تخريج مسند أحمد:٦٣/٧) (الألبانيُّ في هداية الرواة:٨١٧)

أخرج أبو داود والترمذي واللفظ له والنسائي من حديث أبي هريرة ﷺ " أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ انصَرَفَ مِن صَلاةٍ جَهَرَ فيها بالقِراءةِ، فقال: هَل قَرَأَ مَعي أحَدٌ مِنكُم آنِفًا؟ فقال رَجُلٌ: نَعَم يا رَسولَ اللهِ، قال: إنِّي أقولُ ما لي أُنازَعُ القُرآنَ؟! ". قال: فانتَهى النَّاسُ عنِ القِراءةِ مَعَ رَسولِ اللهِ ﷺ فيما جَهَرَ فيه رَسولُ اللهِ ﷺ مِنَ الصَّلَواتِ بالقِراءةِ حينَ سَمِعوا ذلك مِن رَسولِ اللهِ ﷺ ".

(صحَّحه أحمد شاكر في تخريج سنن الترمذي:١١٨/٢) (صحيح سنن الترمذي:٣١٢)

١- المُسِرُّ بِالْقُرْآنِ: أي الذي يقرأ القرآن في سره.

وأخرج الإمام أحمد ومالك والنسائي في" السنن الكبرى" من حديث البَياضيِّ ﷺ قال: " أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ على النَّاسِ وهم يُصَلُّونَ، وقد عَلَت أصواتُهم بالقِراءةِ، فقال: إنَّ المُصَلِّيَ يُناجي رَبَّه، فليَنظُرْ بما يُناجيه به، ولا يَجهَرْ بَعضُكُم على بَعضٍ بالقُرآنِ ". (صحَّحه شعيبٌ الأرناؤوط في تخريج مسند أحمد:١٩٠٢٢)

أخرج الإمام مسلم من حديث عِمرانَ بنِ حُصَينٍ ﷺ قال: " صَلَّى بنا رَسولُ اللهِ ﷺ صَلاةَ الظُّهرِ -أوِ العَصرِ- فقال: أيُّكُم قَرَأَ خَلفي بسَبِّحِ اسمَ رَبِّكَ الأعلى؟ فقال رَجُلٌ: أنا، ولَم أُرِدْ بها إلَّا الخَيرَ، قال: قد عَلِمتُ أنَّ بَعضَكم خالَجَنيها[1] ".

وأخرج أبو عبيد القاسم بن سلام في" فضائل القرآن"عن لُقمانَ بنِ عامرٍ قال: " صَلَّى رَجُلٌ إلى جَنبِ أبي مُسلِمٍ الخَولانيِّ، فجَهَرَ بالقِراءةِ، فلَمَّا فرَغَ أبو مُسلِمٍ مِن صَلاتِه قال: يا ابنَ أخي، أفسَدتَ عليَّ وعَلى نَفسِك ".

وأخرج أبو عبيد القاسم بن سلام في" فضائل القرآن" واللفظ له وابن أبي شيبة عن مُغيرةَ قال: " سَألتُ إبراهيمَ عنِ الجَهرِ في قِراءةِ النَّهارِ، فقال: إنْ لَم تُؤذِ أحَدًا فلا بَأسَ بذلك ".

قال ابنُ عَبدِ البَرِّ-رحمه الله-: " لا يُحَبُّ لكُلِّ مُصَلٍّ يَقضي فَرْضَه وإلى جَنبِه مَن يَعمَلُ مِثلَ عَمَلِه أن يُفرِطَ في الجَهرِ؛ لئَلَّا يَخلِطَ عليه، كما لا يُحَبُّ ذلك لمُتَنَفِّلٍ إلى جَنبِ مُتَنَفِّلٍ مِثلِه، وإذا كان هذا هَكَذا فحَرامٌ على النَّاسِ أن يَتَحَدَّثوا في المَسجِدِ بما يَشغَلُ المُصَلِّيَ عن صَلاتِه، ويَخلِطُ عليه قِراءَتَه، وواجِبٌ لازِمٌ على كُلِّ مَن يُطاعُ أن يَنهى عن ذلك؛ لأنَّ ذلك إذا لَم يَجُزْ للمُصَلِّي التَّالي للقُرآنِ، فأينَ الحَديثُ بأحاديثِ النَّاسِ مِن ذلك؟! ". (الاستذكار:١/ ٤٣٥).

وقال أيضًا-رحمه الله-: " إذا لَم يَجُزْ للتَّالي المُصَلِّي رَفعُ صَوتِه لئَلَّا يغلطَ ويَخلِطَ على مُصَلٍّ إلى جَنبِه، فالحَديثُ في المَسجِدِ مِمَّا يَخلِطُ على المُصَلِّي أولى بذلك وألزَمُ وأمنَعُ وأحرَمُ، واللَّهُ أعلَمُ، وإذا نُهيَ المُسلِمُ عن أذى أخيه المُسلِمِ في عَمَلِ البرِّ وتِلاوةِ الكِتابِ، فأذاه في غَيرِ ذلك أشَدُّ ". (التمهيد:٢٣/ ٣١٩).

وقال الحَكيمُ التِّرمِذيُّ-رحمه الله-: " مِن حُرمةِ القُرآنِ ألَّا يَجهَرَ بَعضٌ على بَعضٍ في القِراءةِ، فيُفسِدَ عليه حَتَّى يُبَغِّضَ إليه ما يَسمَعُ، ويَكونَ كهَيئةِ المُغالَبةِ ". (نوادر الأصول:٣/ ٢٥٦).

وقال البَيهَقيُّ-رحمه الله-: " إذا كانوا جَماعةً يقرؤون القُرآنَ فلا يَرفعْ بَعضُهم على بَعضٍ في القِراءةِ؛ لِما فيه مِنَ الأذى على أصحابِه ". (شعب الإيمان:٤/ ٢١٠).

وقال القُرطُبيُّ-رحمه الله-: " هذا حُكمُ كُلِّ مُصَلٍّ وقارِئٍ، فلا يَنبَغي لمُصَلٍّ غَيرِه أو قارِئٍ سِواه أن يَخلِطَ قِراءَتَه عليه ". (التذكار في أفضل الأذكار ص: ١٩٠).

١- قال الخَطَّابيُّ-رحمه الله-: قَولُه:" خالَجَنيها"، أي: جاذَبَنيها، والخَلجُ: الجَذبُ، وهذا وقَولُه:" نازَعَنيها" سَواءٌ، وإنَّما أنكَرَ عليه مُحاذاتَه في قِراءةِ السُّورةِ حَتَّى تَداخَلَتِ القِراءَتانِ وتَجاذَبَتا". (معالم السنن:١/ ٢٠٦).

الأدب الثامن عشر: يستحب عند قراءة القرآن سؤالُ الله عندَ آياتِ الرحمةِ، والاستعاذةُ عندَ الوعيدِ، والتسبيحُ عندَ التنزيهِ:

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث حُذَيفةَ ﷺ قال: " صَلَّيتُ مَعَ النَّبيِّ ﷺ ذاتَ لَيلةٍ، فافتَتَحَ البَقَرةَ، فقُلتُ: يَركَعُ عِندَ المِائةِ، ثُمَّ مَضى، فقُلتُ: يُصَلِّي بها في رَكعةٍ، فمَضى، فقُلتُ: يَركَعُ بها، ثُمَّ افتَتَحَ النِّساءَ، فقَرَأها، ثُمَّ افتَتَحَ آلَ عِمرانَ، فقَرَأها، يَقرَأُ مُتَرَسِّلًا[1]، إذا مَرَّ بآيةٍ فيها تَسبيحٌ سَبَّحَ، وإذا مَرَّ بسُؤالٍ سَألَ، وإذا مَرَّ بتَعَوُّذٍ تَعوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ، فجَعَلَ يَقولُ: سُبحانَ رَبِّيَ العَظيمِ، فكان رُكوعُه نَحوًا مِن قيامِه، ثُمَّ قال: سَمِعَ اللهُ لمَن حَمِدَه، ثُمَّ قامَ طَويلًا قَريبًا مِمَّا رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ، فقال: سُبحانَ رَبِّيَ الأعلى، فكان سُجودُه قَريبًا مِن قيامِه ".

وأخرج عبد الرزاق والبيهقي في" شعب الإيمان" عن ابنِ عبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنهُما- قال: " إذا قَرأتَ سَبِّحِ اسمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى فقلْ سُبحَانَ ربِّيَ الأعلى، وإذا قرأت أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحيِيَ الْمَوْتَى فقُلْ: سبحانَك وبلَى ". (صححه ابن حجر في" نتائج الأفكار:٢/٤٨) (صححه الألباني في صفة الصلاة:١/٤٠٨)

وأخرج الخطيب في" تاريخ بغداد" وابن عساكر في" تاريخ دمشق:٥١/٣٩٢" عن حُسَينِ بنِ عَليٍّ يَعني الكَرابيسيَّ قال: " بِتُّ مَعَ الشَّافِعيِّ غيرَ لَيلةٍ، فكان يُصَلِّي نَحوَ ثُلُثِ اللَّيلِ... وكان لا يَمُرُّ بآيةِ رَحمةٍ إلَّا سَألَ اللهَ لنَفسِه وللمُؤمِنينَ أجمَعينَ، ولا يَمُرُّ بآيةِ عَذابٍ إلَّا تَعَوَّذَ مِنها، وسَألَ النَّجاةَ لنَفسِه ولجَميعِ المُسلِمينَ. قال: فكَأنَّما جُمِع له الرَّجاءُ والرَّهبةُ جَميعًا ".

قال النَّوويُّ -رحمه الله-: " قال أصحابُنا: ويُستَحَبُّ هذا السُّؤالُ والاستِعاذةُ والتَّسبيحُ لكُلِّ قارِئٍ، سَواءٌ كان في الصَّلاةِ أو خارِجًا مِنها، قالوا: ويُستَحَبُّ ذلك في صَلاةِ الإمامِ والمُنفَرِدِ والمَأمومِ؛ لأنَّه دُعاءٌ، فاستَوَوا فيه كالتَّأمينِ عَقِبَ الفاتِحةِ. وهذا الذي ذَكَرناه مِن استِحبابِ السُّؤالِ والاستِعاذةِ هو مَذهَبُ الشَّافِعيِّ ﷺ وجَماهيرِ العُلَماءِ رَحِمَهمُ اللهُ. قال أبو حَنيفةَ رَحِمَه اللهُ تعالى: ولا يُستَحَبُّ ذلك، بَل يُكرَهُ في الصَّلاةِ، والصَّوابُ قَولُ الجَماهيرِ ". (التبيان في آداب حملة القرآن ص: ٩٢).

١- يَقرَأُ مُتَرَسِّلًا، أي: مُتَرَفِّقًا مُتَمَهِّلًا، مِن قَولِهم: على رِسلِك، أي: على رِفقِك، ومُرَتِّلًا بتَبيينِ الحُروفِ وأداءِ حَقِّها، والتَّرَسُّلُ: تَرتيلُ الحُروفِ وأداؤُها حَقَّها. (المفهم لأبي العباس القرطبي:٢/ ٤٠٥) (دليل الفالحين لابن علان:٢/ ٣٢٠).

الأدب التاسع عشر: يستحب الإمساكُ عن قراءة القرآن إذا تَثاءَبَ، أو غَلَبَه النُّعاسُ:

أخرج الإمام مُسْلِمٌ من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنَ اللَّيْلِ فَاسْتَعْجَمَ الْقُرْآنُ عَلَى لِسَانِهِ[1] فَلَمْ يَدْرِ مَا يَقُولُ فَلْيَضْطَجِعْ ".

فَلْيَضْطَجِعْ إذا غَلَبَه النُّعاسُ لئَلَّا يُغَيِّرَ كَلامَ اللهِ ويُبَدِّلَه، ولَعَلَّه يَأتي في ذلك بما لا يَجوزُ؛ مِن قَلبِ مَعانيه، وتَحريفِ كَلماتِه. ومَعنى: " استَعجَمَ عليه القُرآنُ": أي: لَم يُفصِحْ به لسانُه، ولا انطَلَقَ به؛ لغَلَبةِ النُّعاسِ، كَأنَّه صارَت به عُجمةٌ لاختِلاطِ حُروفِ النَّاعِسِ وعَدَمِ بَيانِها. (طرح التثريب للعراقي:٣/ ٨٩).

وأخرج البخاري ومسلم من حديث عائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ: " إذا نَعَسَ أحَدُكُم وهو يُصَلِّي فليَرقُدْ حَتَّى يَذهَبَ عنه النَّومُ؛ فإنَّ أحَدَكُم إذا صَلَّى وهو ناعِسٌ لا يَدري لَعَلَّه يَستَغفِرُ فيَسُبُّ نَفسَه".

وأخرج البخاري من حديث أَنَسٍ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " إذا نَعَسَ أحَدُكُم في الصَّلاةِ فليَنَمْ حَتَّى يَعلَمَ ما يَقرَأُ ".

وأخرج أبو عبيد القاسم بن سلام في" فضائل القرآن" واللفظ له والبيهقي في" شعب الإيمان" عن مُجاهدٍ قال: " إذا تَثاءَبتَ وأنتَ تَقرَأُ القُرآنَ فأمسِكْ عنِ القِراءةِ حَتَّى يَذهَبَ تَثاؤُبُك ".

وأخرج أبو عبيد القاسم بن سلام في" فضائل القرآن" واللفظ له وابن أبي شيبة عن عِكرِمَةَ قال: " إذا تَثاءَبَ أحَدُكُم وهو يَقرَأُ القُرآنَ فليَسكُتْ، ولا يَقُلْ: هاها وهو يَقرَأُ ".

وقال القُرطُبيُّ-رحمه الله-: " يُستَحَبُّ إذا تَثاءَبَ أن يُمسِكَ عنِ القِراءةِ؛ لأنَّه مُخاطِبٌ رَبَّه ومُناجٍ، والتَّثاؤُبُ مِنَ الشَّيطانِ ". (التذكار في أفضل الأذكار للقرطبي ص: ١٧٦).

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " إذا تَثاءَبَ أحَدُكُم فليُمسِك بيَدِه على فيه؛ فإنَّ الشَّيطانَ يَدخُلُ ".

وأخرج البخاري ومسلم واللفظ له من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " التَّثاؤُبُ مِنَ الشَّيطانِ، فإذا تَثاءَبَ أحَدُكُم فليَكظِمْ ما استَطاعَ ".

قال الآجُرِّيُّ-رحمه الله-: " يَنبَغي للقارِئِ إذا كان يَقرَأُ فخَرَجَت مِنه ريحٌ أمسَكَ عنِ القِراءةِ حَتَّى تَنقَضيَ الرِّيحُ، ثُمَّ إن أحَبَّ أن يَتَوضَّأَ ثُمَّ يَقرَأَ طاهِرًا فهو أفضَلُ، وإن قَرَأَ غَيرَ طاهِرٍ فلا بَأسَ مِنه، وإذا تَثاءَبَ وهو يَقرَأُ أمسَكَ عنِ القِراءةِ حَتَّى يَنقَضيَ التَّثاؤُبُ... وأُحِبُّ للقارِئِ أن يَأخُذَ نَفسَه بسُجودِ القُرآنِ، كُلَّما مَرَّ بسَجدةٍ سَجَد فيها ". (أخلاق أهل القرآن ص: ١٤٥).

١- فَاسْتَعْجَمَ الْقُرْآنُ عَلَى لِسَانِهِ: أي استغلق، ولم ينطلق به لسانه؛ لغلبة النعاس.

الأدب العشرون: عَدَمُ قِراءةِ القُرآنِ في الرُّكوعِ والسُّجود:

أخرج الإمام مسلم من حديث عَبدِ اللهِ بنِ عَبَّاسٍ رَضيَ اللهُ عنهما قال: " كَشَفَ رَسولُ اللهِ ﷺ السِّتارةَ والنَّاسُ صُفوفٌ خَلفَ أبي بَكرٍ، فقال: أيُّها النَّاسُ، إنَّه لَم يَبقَ مِن مُبَشِّراتِ النُّبوَّةِ إلَّا الرُّؤيا الصَّالحةُ، يَراها المُسلمُ أو تُرى له، أَلَا وَإنِّي نُهِيتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا، فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ عز وجل، وَأَمَّا السُّجُودُ، فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ، فَقَمِنٌ[1] أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ ".

وأخرج الإمام مسلم من حديث عَلِيِّ بنِ أبي طالِبٍ ﷺ قال: " نَهاني رَسولُ اللهِ ﷺ أن أقرَأَ راكِعًا أو ساجِدًا ".

قال ابنُ الأثيرِ-رحمه الله-: " قال الخَطَّابيُّ: لمَّا كان الرُّكوعُ والسُّجودُ- وهما غايةُ الذُّلِّ والخُضوعِ - مَخصوصينِ بالذِّكرِ والتَّسبيحِ، نَهاه عنِ القِراءةِ فيهما، كَأنَّه كَرِهَ أن يَجمَعَ بَينَ كَلامِ اللهِ تعالى وكَلامِ النَّاسِ في مَوطِنٍ واحِدٍ؛ فيَكونانِ على السَّواءِ في المَحَلِّ والمَوقِعِ ". (النهاية في غريب الحديث والأثر:٢/ ٢٥٩).

وقال القاريُّ-رحمه الله-: " قال ابنُ المَلَكِ: كَأنَّ حِكمَتَه أنَّ أفضَلَ أركانِ الصَّلاةِ القيامُ، وأفضَلَ الأذكارِ القُرآنُ، فجُعِلَ الأفضَلُ للأفضَلِ، ونُهِيَ عن جَعلِه في غَيرِه لئَلَّا يوهِمَ استِواءَه مَعَ بَقيَّةِ الأذكارِ. وقيلَ: خُصَّتِ القِراءةُ بالقيامِ أوِ القُعودِ عِندَ العَجزِ عنه؛ لأنَّهما مِنَ الأفعالِ العاديَّةِ، ويتمحَّضانِ للعِبادةِ، بخِلافِ الرُّكوعِ والسُّجودِ؛ لأنَّهما بذَواتِهما يُخالفانِ العادةَ، ويَدُلَّانِ على الخُضوعِ والعِبادةِ. ويُمكِنُ أن يُقالَ: إنَّ الرُّكوعَ والسُّجودَ حالانِ دالَّانِ على الذُّلِّ، ويُناسِبُهما الدُّعاءُ والتَّسبيحُ، فنُهيَ عنِ القِراءةِ فيهما تَعظيمًا للقُرآنِ الكَريمِ، وتَكريمًا لقارِئِه القائِمِ مَقامَ الكَليمِ، واللَّهُ بكُلِّ شَيءٍ عَليمٌ ".

(مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح:٢/ ٧١١) (شرح المصابيح لابن الملك:٢/ ٨)

وذَكَرَ ابنُ تيميَّةَ-رحمه الله- أنَّه نُهيَ عن ذلك تَشريفًا للقُرآنِ، وتَعظيمًا له ألَّا يُقرَأَ في حالِ الخُضوعِ والذُّلِّ، كما كَرِهَ أن يُقرَأَ مَعَ الجِنازةِ، وكَما كَرِهَ أكثَرُ العُلَماءِ قِراءَتَه في الحَمَّامِ.

(مجموع الفتاوى:٢٣/ ٥٩) (فضائل القرآن لابن كثير ص: ٢٢٤)

وقال ابنُ القَيِّمِ-رحمه الله-: " وسَمِعتُه- يَعني: ابنَ تيميَّةَ- يَقولُ في نَهيِه ﷺ عن قِراءةِ القُرآنِ في الرُّكوعِ والسُّجودِ: إنَّ القُرآنَ هو أشرَفُ الكَلامِ، وهو كَلامُ اللَّهِ، وحالَتا الرُّكوعِ والسُّجودِ حالَتا ذُلٍّ وانخِفاضٍ مِنَ العَبدِ؛ فمِنَ الأدَبِ مَعَ كَلامِ اللهِ ألَّا يُقرَأَ في هاتَينِ الحالَتَينِ، ويَكونُ حالُ القيامِ والانتِصابِ أَولى به ".

(مدارج السالكين:٢/ ٣٦٤)

وقال ابنُ تَيميَّةَ-رحمه الله-: " اتَّفَقَ العُلَماءُ على كَراهةِ القِراءةِ في الرُّكوعِ والسُّجودِ ".

(مجموع الفتاوى:٢٣/ ٥٨)

١- قَمِنٌ: أي جَديرٌ وحَريٌّ أن يُستَجابَ لَكُم. (معالم السنن للخطابي:١/ ٢١٤).

الأدب الحادي والعشرون: عَدَمُ المُداومةِ على خَتمِ القرآن في أقَلّ مِن ثَلاثة أيام:

فتُكرَهُ المُداوِمةُ على الخَتمِ في أقَلَّ مِن ثَلاثٍ. (فضائل القرآن لابن كثير ص: ٢٥٤).

فقد أخرج أبو داود والترمذي وابن ماجه عن عَبدِ اللهِ بنِ عَمرٍو رَضيَ اللهُ عنهما أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: " لَم يَفقَهْ مَن قَرَأ القُرآنَ في أقَلَّ مِن ثَلاثٍ ".

(صحيح سنن أبي داود:١٣٩٤) (وصححه شعيب الأرناؤوط في تخريج سنن أبي داود:١٣٩٤)

أخرج البخاري ومسلم من حديث عَبدِ اللهِ بنِ عَمرٍو-رَضيَ اللهُ عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: " صُمْ مِنَ الشَّهرِ ثَلاثةَ أيَّامٍ، قال: أُطيقُ أكثَرَ مِن ذلك، فما زالَ حَتَّى قال: صُمْ يَومًا وأفطِرْ يَومًا، فقال: اقرَأِ القُرآنَ في كُلِّ شَهرٍ، قال: إنِّي أُطيقُ أكثَرَ، فما زالَ حَتَّى قال: في ثَلاثٍ ".

أخرج الإمام مسلم من حديث عائِشةَ رَضيَ اللهُ عنها قالت: " كان نَبيُّ اللهِ ﷺ إذا صَلَّى صَلاةً أحَبَّ أن يُداوِمَ عليها، وكان إذا غَلَبَه نَومٌ أو وجَعٌ عن قيامِ اللَّيلِ صَلَّى مِنَ النَّهارِ ثِنتَي عَشرةَ رَكعةً، ولا أعلَمُ نَبيَّ اللهِ ﷺ قَرَأ القُرآنَ كُلَّه في لَيلةٍ، ولا صَلَّى لَيلةً إلى الصُّبحِ، ولا صامَ شَهرًا كامِلًا غَيرَ رَمَضانَ ".

أخرج الإمام أحمد والبيهقي في" شعب الإيمان" والطبراني في" المعجم الأوسط" من حديث عَبدِ الرَّحمَنِ بنِ شِبلٍ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " اقرؤوا القُرآنَ، ولا تَغْلُوا فيه[١]، ولا تَجْفُوا عنه[٢]، ولا تأكُلوا به[٣]، ولا تَستَكثِروا به[٤] ". (صحيح الجامع:١١٦٨) (وصححه شعيب الأرناؤوط في تخريج مسند أحمد:١٥٥٢٩)

وقال المُناويُّ-رحمه الله-: وقوله:" ولا تَجفوا عنه" أي لا تُبعِدوا عن تِلاوتِه "ولا تَغْلوا فيه" تُجاوِزوا حَدَّه مِن حَيثُ لفظِه أو مَعناه، بأن تتأوَّلوه بباطِلٍ، أوِ المُرادُ: لا تَبذُلوا جُهدَكُم في قِراءَتِه وتَترُكوا غَيرَه مِنَ العِباداتِ، فالجَفاءُ عنه: التَّقصيرُ. والغُلُوُّ: التَّعَمُّقُ فيه. وكِلاهما شَنيعٌ، وقد أمَرَ اللهُ بالتَّوسُّطِ في الأُمورِ... ومِنَ الآدابِ المَأمورِ بها: القَصدُ في الأُمورِ، وكِلا طَرَفَي قَصدِ الأُمورِ ذَميمٌ ". (فيض القدير:٢/ ٦٤).

وأخرج عبد الرزاق والطبراني والبيهقي واللفظ له عن عَبدِ اللهِ بنِ مَسعودٍ ﷺ قال: " اقرَؤوا القُرآنَ في سَبعٍ، ولا تَقرَؤوه في أقَلَّ مِن ثَلاثٍ، ولْيُحافِظِ الرَّجُلُ في يَومِه ولَيلَتِه على جُزئِه ".

(صحَّح إسنادَه ابنُ حجر في" نتائج الأفكار:٣/١٤٩) (وشعيب الأرناؤوط في تخريج سير أعلام النبلاء:١٦/١٣٠).

١- لا تَغْلوا فيه: قال العَينيُّ:" مِنَ الغُلوِّ، وهو التَّشَدُّدُ والمُجاوزةُ عنِ الحَدِّ. وقال ابنُ كَثيرٍ-رحمه الله-:" أي لا تُبالِغوا في تِلاوتِه بسُرعةٍ في أقصَرِ مُدَّةٍ؛ فإنَّ ذلك يُنافي التَّدَبُّرَ غالبًا؛ ولهذا قابَلَه بقَولِه:" ولا تَجفوا عنه"، أي: لا تَترُكوا تِلاوتَه ". (فضائل القرآن ص: ٢٥٦).

٢- ولا تَجْفوا: أي تَعاهَدوه ولا تُبعِدوا عن تِلاوتِه، وهو مِنَ الجَفاءِ، وهو البُعدُ عنِ الشَّيءِ.

٣- ولا تأكُلوا به: أي بمُقابَلةِ القُرآنِ، أرادَ: لا تَجعَلوا له عِوضًا مِن سُحتِ الدُّنيا". (عمدة القاري:٢١/ ٢٦٤)

٤- لا تَستَكثِروا به: أي: لا تجعَلوه سببًا للاستكثارِ مِنَ الدُّنيا. (التيسير للمناوي:١/ ١٩٣).

فوائد:

١- ***قال النَّوويُّ-رحمه الله- بعدَ أن ذكَرَ بعضَ مَن كان يَختمُ القُرآنَ في أقَلَّ من ثَلاثٍ:*** " المُختارُ أنَّ ذلك يَختَلفُ باختِلافِ الأشخاصِ؛ فمَن كان يَظهَرُ له بدَقيقِ الفِكرِ لَطائِفُ ومَعارِفُ فليَقتَصِرْ على قَدرٍ يَحصُلُ له كَمالُ فَهمِ ما يَقرَأُ، وكَذا مَن كان مَشغولًا بنَشرِ العِلمِ، أو فَصلِ الحُكوماتِ بَينَ المُسلِمينَ، أو غَيرِ ذلك مِن مُهمَّاتِ الدِّينِ والمَصالحِ العامَّةِ للمُسلِمينَ، فليَقتَصِرْ على قَدرٍ لا يَحصُلُ له بسَبَبِه إخلالٌ بما هو مُرصَدٌ له، ولا فَوتُ كَمالِه، ومَن لَم يَكُنْ مِن هؤلاء المَذكورينَ فليَستَكثِرْ ما أمكَنَه مِن غَيرِ خُروجٍ إلى حَدِّ المَلَلِ أوِ الهَذرَمةِ في القِراءةِ. وقد كَرِهَ جَماعةٌ مِنَ المُتَقدِّمينَ الخَتمَ في يَومٍ ولَيلةٍ ". **(التبيان للنووي ص: ٦١)**

٢- ***قال الذَّهَبيُّ-رحمه الله-:*** " صَحَّ أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ نازَلَ عَبدَ اللهِ بنَ عَمرٍو إلى ثَلاثِ لَيالٍ، ونَهاه أن يَقرَأَه في أقَلَّ مِن ثَلاثٍ، وهذا كان في الذي نَزلَ مِنَ القُرآنِ، ثُمَّ بَعدَ هذا القَولِ نَزَل ما بَقيَ مِنَ القُرآنِ. فأقَلُّ مَراتِبِ النَّهيِ أن تُكرَهَ تِلاوةُ القُرآنِ كُلِّه في أقَلَّ مِن ثَلاثٍ، فما فَقِهَ ولا تدَبَّر مَن تَلا في أقَلَّ مِن ذلك. ولَو تَلا ورَتَّلَ في أُسبوعٍ، ولازَمَ ذلك، لَكان عَمَلًا فاضِلًا، فالدِّينُ يُسرٌ، فواللهِ إنَّ تَرتيلَ سُبعِ القُرآنِ في تَهَجُّدِ قيامِ اللَّيلِ مَعَ المُحافظةِ على النَّوافِلِ الرَّاتِبةِ، والضُّحى، وتَحيَّةِ المَسجِدِ، مَعَ الأذكارِ المَأثورةِ الثَّابتةِ، والقَولِ عِندَ النَّومِ واليَقَظةِ، ودُبُرَ المَكتوبةِ والسَّحَرِ، مَعَ النَّظَرِ في العِلمِ النَّافِعِ والاشتِغالِ به مُخلِصًا للهِ، مَعَ الأمرِ بالمَعروفِ، وإرشادِ الجاهِلِ وتَفهيمِه، وزَجرِ الفاسِقِ، ونَحوِ ذلك، مَعَ أداءِ الفرائِضِ في جَماعةٍ بخُشوعٍ وطُمَأنينةٍ وانكِسارٍ وإيمانٍ، مَعَ أداءِ الواجِبِ، واجتِنابِ الكَبائِرِ، وكَثرةِ الدُّعاءِ والاستِغفارِ، والصَّدَقةِ وصِلةِ الرَّحِمِ، والتَّواضُعِ، والإخلاصِ في جَميعِ ذلك: لشُغلٌ عَظيمٌ جَسيمٌ، ولمَقامُ أصحابِ اليَمينِ وأولياءِ اللهِ المُتَّقينَ؛ فإنَّ سائِرَ ذلك مَطلوبٌ. فمَتى تَشاغَلَ العابدُ بخَتمةٍ في كُلِّ يَومٍ فقد خالَف الحَنيفيَّةَ السَّمحةَ، ولَم يَنهَضْ بأكثَرِ ما ذَكَرناه، ولا تَدَبَّر ما يَتلوه. هذا السَّيِّدُ العابدُ الصَّاحِبُ كان يَقولُ لمَّا شاخَ: **لَيتَني قَبِلتُ رُخصةَ رَسولِ اللهِ ﷺ**[1]". وكُلُّ مَن لَم يلزم نَفسَه في تَعَبُّدِه وأورادِه بالسُّنَّةِ النَّبَويَّةِ، يَندَمُ ويَترَهَّبُ ويَسوءُ مِزاجُه، ويَفوتُه خَيرٌ كَثيرٌ مِن مُتابَعةِ سُنَّةِ نَبيِّه الرَّؤوفِ الرَّحيمِ بالمُؤمِنينَ، الحَريصِ على نَفعِهم، وما زالَ ﷺ مُعَلِّمًا للأُمَّةِ أفضَلَ الأعمالِ، وآمِرًا بهَجرِ التَّبَتُّلِ والرَّهبانيَّةِ التي لَم يُبعَثْ بها؛ فنَهى عن سَردِ الصَّومِ، ونَهى عنِ الوِصالِ، وعن قيامِ أكثَرِ اللَّيلِ إلَّا في العَشرِ الأخيرِ، ونَهى عنِ العُزبةِ للمُستَطيعِ، ونَهى عن تَركِ اللَّحمِ، إلى غَيرِ ذلك مِنَ الأوامِرِ والنَّواهي. فالعابدُ بلا مَعرِفةٍ لكَثيرٍ مِن ذلك مَعذورٌ مَأجورٌ، والعابِدُ العالِمُ بالآثارِ المُحَمَّديَّةِ المُتَجاوِزُ لَها مَفضولٌ مَغرورٌ، وأحَبُّ الأعمالِ إلى اللهِ تعالى أدوَمُها وإن قَلَّ. ألهَمَنا اللهُ وإيَّاكُم حُسنَ المُتابَعةِ، وجَنَّبَنا الهَوى والمُخالَفةَ ". **(سير أعلام النبلاء:٣/ ٨٤-٨٦)**

١- فقد أخرج البخاري ومسلم عن عَبدِ اللهِ بنِ عَمرٍو رَضيَ اللهُ عنهما قال:... وقال لي النَّبيُّ ﷺ: إنَّك لا تَدري لَعَلَّك يَطولُ بك عُمرٌ. قال: فصِرتُ إلى الذي قال لي النَّبيُّ ﷺ، فلمَّا كَبِرتُ وِددتُ أنِّي كُنتُ قَبِلتُ رُخصةَ نَبيِّ اللهِ ﷺ ". وفي لفظ للبخاري:" فلَيتَني قَبِلتُ رُخصةَ رَسولِ اللهِ ﷺ؛ وذاكَ أنِّي كَبِرتُ وضَعُفتُ، فكان يَقرَأُ على بَعضِ أهلِه السُّبعَ مِنَ القُرآنِ بالنَّهارِ والذي يَقرَؤُه يَعرِضُه مِنَ النَّهارِ؛ ليَكونَ أخَفَّ عليه باللَّيلِ، وإذا أرادَ أن يَتَقَوَّى أفطَرَ أيَّامًا وأحصى وصامَ مِثلَهنَّ؛ كَراهيةَ أن يَترُكَ شَيئًا فارَقَ النَّبيَّ ﷺ عليه ".

وقال ابنُ كَثيرٍ-رحمه الله- بَعدَ أن أورَدَ طَرَفًا مِن أخبارِ مَن خَتَمَ في أقَلَّ مِن ثَلاثٍ: " هذا وأمثالُه مِنَ الصَّحيحِ عنِ السَّلَفِ مَحمولٌ إمَّا على أنَّه ما بَلَغَهم في ذلك حَديثٌ مِمَّا تَقدَّمَ، أو أنَّهم كانوا يَفهَمونَ ويَتَفكَّرونَ فيما يقرؤونه مَعَ هذه السُّرعةِ، واللَّهُ سُبحانَه وتعالى أعلَمُ ". (فضائل القرآن ص: ٢٦٠).

٢- ***قال ابنُ رَجَبٍ الحَنبَليُّ-رحمه الله-:*** " إنَّما ورَدَ النَّهيُ عن قِراءةِ القُرآنِ في أقَلَّ مِن ثَلاثٍ على المُداومةِ على ذلك، فأمَّا في الأوقاتِ المُفضَّلةِ، كشَهرِ رَمَضانَ -خُصوصًا اللَّياليَ التي يُطلَبُ فيها لَيلةُ القَدرِ- أو في الأماكِنِ المُفضَّلةِ، كمَكَّةَ لمَن دَخَلَها مِن غَيرِ أهلِها؛ فيُستَحَبُّ الإكثارُ فيها مِن تِلاوةِ القُرآنِ؛ اغتِنامًا للزَّمانِ والمَكانِ، وهو قَولُ أحمَدَ وإسحاقَ وغَيرِهما مِنَ الأئِمَّةِ، وعليه يَدُلُّ عَمَلُ غَيرِهم ".

(لطائف المعارف ص: ١٧١).

الأدب الثاني والعشرون: لا يُقال: نَسِيتُ آيةَ كَذا وكذا:

يُكرَهُ أن يُقالَ: نَسِيتُ آيةَ كَذا وكَذا، بَل يَقولُ: أُنسِيتُها أو أسقَطتُها (التبيان للنووي ص: ١٦٩).

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث عَبدِ اللهِ بنِ مَسعودٍ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " **بِئسَ ما لأحَدِهم أن يَقولَ: نَسيتُ آيةَ كَيتَ وكَيتَ، بَل نُسِّيَ، واستَذكِروا القُرآنَ؛ فإنَّه أشَدُّ تَفصِّيًا مِن صُدورِ الرِّجالِ مِنَ النَّعَمِ** ".

قال النَّوويُّ-رحمه الله-: " فيه كَراهةُ قَولِ: نَسيتُ آيةَ كَذا، وهيَ كَراهةُ تَنزيهٍ، وأنَّه لا يُكرَهُ قَولُ: أُنسِيتُها؛ وإنَّما نُهِيَ عن" نَسيتُها"؛ لأنَّه يَتَضَمَّنُ التَّساهُلَ فيها والتَّغافُلَ عنها، **وقد قال اللهُ تعالى:** ﴿**أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا**﴾ (طه: ١٢٦)

وقال القاضي عِياضٌ-رحمه الله-: " أولى ما يُتَأوَّلُ عليه الحَديثُ أنَّ مَعناه ذَمُّ الحالِ لا ذَمُّ القَولِ، أي: بِئسَت الحالةُ حالةُ مَن حَفِظَ القُرآنَ فغَفَلَ عنه حَتَّى نَسِيَه ". (شرح مسلم:٦/ ٧٦) (إكمال المعلم لعياض:٣/ ١٥٥)

الأدب الثالث والعشرون: أن يختار الأوقات المفضلة لقراءة القرآن:

من المعلوم أن القرآن يُقرأ في أي وقت من ليل أو نهار، إلا أن هناك أوقات فاضلة يستحب فيها القراءة.

يقول الإمام النووي-رحمه الله- في" كتابه التبيان في آداب حملة القرآن ص:١٥٥": " اعلم أن أفضل القراءة ما كان في الصلاة... ومذهب الشافعي وغيره، أن تطويل القيام أفضل في الصلاة من تطويل السجود وغيره. وأما القراءة في غير الصلاة فأفضلها قراءة الليل.. والنصف الأخير من الليل أفضل من النصف الأول له، والقراءة بين المغرب والعشاء محبوبة.. وأما القراءة في النهار، فأفضلها بعد صلاة الصبح.. ولا كراهية في القراءة في وقت من الأوقات. ويختار من الأيام الجمعة، والاثنين، والخميس، ويوم عرفة، ومن الأعشار: العشر الأخير من رمضان، والعشر الأول من ذي الحجة، ومن الشهور رمضان ".

الأدب الرابع والعشرون: اجعل لك وِردًا من القرآن:

والوِردُ هو: ما يأتيه المسلم من نوافل العبادات، ويتعاهده طوال حياته. فيطلق الورد على الجزء من الليل يكون على الرجل أن يُصلِّيه، والنصيب من القرآن أو الذكر، يُقال: قرأتُ وردي".

والجمع: أوراد. وقد يأتي الورد بمعنى الحزب[1]، يقال: قرأ وِرْدَه وحزبه بمعنى واحد. فهما مترادفان من حيث المعنى، وإن اختلف لفظهما، فكل ذكر أو دعاء بعد الفرائض يسمى وردًا أو حزبًا إذا كان مرتبطا بوقت معين. **وهناك من فرق بين الوِرد والحزب:** إن الورد يُقرأ في أوقات منتظمة؛ كأوراد الليل وأوراد النهار، أما الحزب فليس لقراءته وقت مخصوص.

فالخلاصة: أن الوِرد أو الحزب هو مجموعة من الأذكار المأثورة أو قراءة جزء معين من القرآن يلتزمها المرء ويواظب عليها تقربًا إلى الله تعالى، وهو تطوع لم يفرضه الله عليه.

- وينصرف الوِرد عند الإطلاق إلى تلاوة القرآن الكريم فهو أهم وِرد يطالب المسلم بالمحافظة عليه يوميًّا، وأفضل أحوال الوِرد القرآني اليومي أن يكون في صلاة قيام الليل.

وقد أخرج الإمام مسلم من حديث عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" مَن نامَ عن حِزْبِهِ، أوْ عن شَيءٍ منه، فَقَرَأَهُ فِيما بيْنَ صَلاةِ الفَجْرِ وصَلاةِ الظُّهْرِ؛ كُتِبَ له كَأنَّما قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ ".**

فالحزب هنا حصة معينة من القرآن الكريم يتلوها المرء احتسابًا، ونلاحظ أن رسول الله ﷺ في الحديث الآنف الذكر أضاف الحزب إلى الشخص "حزبه"، وأطلق ذلك ولم يقيده بقدر، ويُفهم من هذا أن تحديد مقدار (الحزب) أمر شخصي يخضع لظروف كل شخص على حدة، وقد اختلفت مسالك الصحابة –رضي الله عنهم– في المقدار اليومي الذي يقرؤونه من القرآن الكريم، وتفاوتت أحزابهم في هذا، وإن كان قد روي عنهم أنهم كانوا يختمونه في سبعة أيام.

ومما يدل على مشروعية تحزيب القرآن الكريم: ما رواه ابن الهاد قال: سألني نافع بنُ جُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ فقال لي: في كم تقرأ القرآن؟ فقلت: ما أُحَزِّبُهُ، فقال لي نافع: لا تقل: ما أُحَزِّبُهُ؛ فإن رسول الله ﷺ قال: قرأت جزءًا من القرآن ". (صحيح سنن أبي داود: ١٢٤١)

وقال المعتمر بن سليمان: ذهبت ألقن أبي عند الموت، فأومأ إليَّ بيده: دَعْني؛ فإني في وِردي الرابع". فسمى الحزبَ من أحزاب القرآن لوقتٍ ما وِرْدًا.

وتحديد مقدار " الحزب" أمر تنظيمي محض، الهدف منه المواظبة على قراءة القرآن الكريم وعدمُ هجره، فإذا وجد نشاطًا في بعض الليالي طوَّل القراءة، وإن كَسِلَ قصرها، لكن لا يقل عن الحد الأدنى من حزبه؛ كي تصبح قراءة القرآن الكريم عادة يومية كسائر الوظائف التي لا يتخلى عنها تحت أي ظرف.

١- الحزب: ما يجعله الرجل على نفسه من قراءة وصلاة كالوِرد. (انظر النهاية في غريب الحديث:١/ ٣٧٦) (لسان العرب:٣٠٨/١).

الورد القرآني يختلف باختلاف الأشخاص:

قال الإمام النووي-رحمه الله-: " اعلم أن تلاوة القرآن هي أفضل الأذكار، والمطلوب القراءة بالتدبر ".

ثم قال: ينبغي أن يحافظ على تلاوته ليلًا ونهارًا، سفرًا وحضرًا، وقد كانت للسلف رضي الله عنهم عاداتٌ مختلفة في القدر الذي يختمون فيه، فكان جماعة منهم يختمون في كل شهرين ختمة، وآخرون في كل شهر ختمة، وآخرون في كل عشر ليال ختمة، وآخرون في كل ثمان ليال ختمة، وآخرون في كل سبع ليال ختمة، وهذا فعل الأكثرين من السلف، وآخرون في كل ست ليال، وآخرون في خمس، وآخرون في أربع، وكثيرون في كل ثلاث وكان كثيرون يختمون في كل يوم وليلة ختمة...". اهـ (الأذكار النووية ص:٨٥)

وقال أيضًا-رحمه الله- :" والمختار: أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص، فمن كان يظهر له بدقيق الفكر لطائفُ ومعارف، فليقتصر على قدر يحصل له كمال فهم ما يقرأ، وكذا من كان مشغولًا بنشر العلم، أو فصل الحكومات بين المسلمين، أو غير ذلك من مهمات الدين والمصالح العامة للمسلمين، فليقتصر على قدر لا يحصل له بسببه إخلال بما هو مرصد له ولا فوت كماله، ومن لم يكن من هؤلاء المذكورين فليستكثر ما أمكنه من غير خروج إلى حدِّ الملل أو الهذرمة في القراءة. وقد كره جماعة من المتقدمين الختم في يوم وليلة، **ويدل عليه ما رويناه بالأسانيد الصحيحة في سنن أبي داود والترمذي والنسائي وغيرها عن عبد الله بن عمرو بن العاص-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:" لا يَفْقَهُ مَنْ قرأ القرآن في أقل من ثلاث".** وأما وقت الابتداء والختم، فهو إلى خيرة القارئ، فإن كان ممن يختم في الأسبوع مرةً، فقد كان عثمان ﷺ يبتدئ ليلة الجمعة ويختم ليلة الخميس". اهـ (المصدر السابق ص:٨٦)

من بركات المداومة على الورد: أن يصبح طبعاً وعادة ويحصل به الأنس والمحبة:

فعلى الإنسان أن يحافظ على وِرده من قيام الليل أو قراءة القرآن أو ذكر الرحمن وقد يكون الورد في أوله متكلَّفًا، لكنه من المثابرة والمكابدة لمدة طويلة يورث الأنس والمحبة ويصبح طبعًا، ***والأمر كما قال الحبيب*** ﷺ:" **الخير عادة...".** (رواه ابن ماجه بسند صحيح)

وكل ورد لا يمكن المواظبة على كثيره، فقليله مع المداومة أفضل وأشد تأثيرًا في القلب من كثيره مع الفترة. ومثال القليل الدائم كقطرات ماء تتقاطر على الأرض على التوالي فتحدث فيها حفيرة، ولو وقع ذلك على الحجر، ومثال الكثير المتفرق ماء يُصَبُّ دفعة واحدة أو دفعات متفرقة متباعدة الأوقات فلا يبين لها أثر ظاهر. والأصل في الأوراد في حق كل صنف من الناس- عالمًا كان أو عابدًا، متعلمًا أو واليًا، تاجرًا أو محترفًا - المداومة[1]، فإن المراد من الذكر تغيير الصفات الباطنة، وآحاد الأعمال يقل آثارها، بل لا يُحس بآثارها، وإنما يترتب الأثر على المجموع، فإذا لم يعقب العمل الواحد أثرٌ محسوسٌ ولم يُرْدَفْ بثان وثالث على القرب انمحى الأثر الأول، وكان كالفقيه يريد أن يكون فقيه النفس، فإنه لا يصير فقيه النفس إلا بتكرار كثير، فلو بالغ ليلة في التَّكرار، وترك شهرًا أو أسبوعًا، ثم عاد وبالغ ليلة، لم يؤثر هذا فيه، ولو وزع ذلك القدر على الليالي المتواصلة لأثر فيه.

١- أي: المداومة على الورد المناسب له؛ فإن الأوراد تختلف من شخص إلى شخص؛ طبقا لأحوال كل واحد.

من تساهل في قضاء ورده إذا فاته هان عليه تضييعه في وقته:

ينبغي لمن كان له وظيفة من وِرد في وقت من ليل أو نهار ففاتته فعليه أن يتداركها، ويأتي بها إذا تمكن منها ولا يهملها، فإنه إذا اعتاد الملازمة عليها لم يعرضها للتفويت، وإذا تساهل في قضائها سهل عليه تضييعها في وقتها[1]، وعلى هذا فينبغي أن يتداركها حتى يصدقَ عليه أنه مديم للذكر مواظب عليه.

فقد أخرج ابن حبان من حديث أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- قالت: **كان رسول الله ﷺ إذا عمل عملًا أثبته، وكان إذا نام من الليل، أو مَرِضَ صَلَّى من النهار ثنتَيْ عشرة ركعة، قالت: وما رأيت رسول الله ﷺ قام ليلة حتى الصباح، ولا صام شهرًا متتابعًا إلا رمضان ".**

- وفي رواية: **" كان رسول الله ﷺ إذا لم يُصلِّ من الليل مَنَعَهُ عن ذلك النوم أو غلبته عيناه صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة[2] ".**

وقد كان الصحابة يقضون ما فاتهم من الأذكار التي كانوا يفعلونها في أوقات مخصوصة.

(تحفة الذاكرين ص:٦٠)

وقد مر بنا الحديث الذي رواه الإمام مسلم من حديث عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" مَن نامَ عن حِزْبِهِ، أوْ عن شَيءٍ منه، فَقَرَأَهُ فِيما بيْنَ صَلاةِ الفَجْرِ وصَلاةِ الظُّهْرِ؛ كُتِبَ له كَأنَّما قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ ".**

وروى الإمام مالك في موطئه عن عبد الرحمن القاريِّ عن عمر ﷺ قال: **من فاته حزبه من الليل، فقرأه حين تزول الشمس[3] إلى صلاة الظهر، فإنه لم يفته "، أو:" كأنه أدركه ".** **(قال الألباني صحيح موقوف)**

قال الحافظ ابن عبد البر-رحمه الله- في" كتابه التمهيد:٨/ ١٠٧" تعليقًا على أثر عمر ﷺ: وقوله: " فقرأه حين تزول الشمس إلى صلاة الظهر"، وهمٌّ عندي والله أعلم... لأن المحفوظ فيه عن عمر ﷺ من حديث ابن شهاب:" **مَن نامَ عن حِزْبِهِ، أوْ عن شَيءٍ منه، فَقَرَأَهُ فِيما بيْنَ صَلاةِ الفَجْرِ وصَلاةِ الظُّهْرِ؛ كُتِبَ له كَأنَّما قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ".** قال أبو عمر: وهذا الوقت فيه من السَّعة ما ينوب عن صلاة الليل، فيتفضل الله برحمته على من استدرك من ذلك ما فاته، وليس من زوال الشمس إلى صلاة الظهر ما يستدرِك فيه كل أحدٍ حزبه، وهذا بَيِّن، والله أعلم ". اهـ

وأخرج النسائي في سننه عن حُميد بن عبد الرحمن قال: " من فاته وِرده من الليل، فليقرأه في صلاة قبل الظهر، فإنها تعدل صلاة الليل ". **(قال الألباني: صحيح مقطوع)**

١- انظر (الأذكار النووية ص:٩)

٢- ترجم ابن حبان لهذا الحديث فقال:" ذكر بيان بأن المصطفى ﷺ كان إذا مرض بالليل صلى وِردَ ليله بالنهار".

٣- انظر (موسوعة التفسير بالمأثور:١٦/١٥٠)

يكره هجر الأوْرَاد بعد اعتيادها:

قال الإمام أحمد-رحمه الله-: " من كان له وِرد فقطعه؛ خِفْتُ عليه أن يُسلَب حلاوة العبادة ".

لأنه إعراض بعد إقبال.

وقال أبو سليمان الدارانى: " إذا فاتك شيءٌ من التطوع، فاقضِ؛ فهو أحرى أن لا تعود إلى تركه ".

وقال الإمام المحقق ابن قيم الجوزية-رحمه الله-: " ومن علامات صحة القلب: ألا يفتر عن ذكر ربه، ولا يسأم من خدمته، ولا يأنس بغيره، إلا بمَن يَدُلُّه عليه، ويذكره به، ويذاكره بهذا الأمر. ومن علامات صحته: أنه إذا فاته ورده وجد لفواته ألما أعظم من تألم الحريص بفوات ماله وفَقْدِه ".

(إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ص:٢٠)

وقال الفقيه الشافعي أحمد بن حجر الهيتمي-رحمه الله-: " محافظة الإنسان على أورادٍ له من الصلاة، أو القراءة، أو الذكر، أو الدعاء طَرَفَي النهار وزلفًا من الليل، وغير ذلك، فهذه سنة رسول الله ﷺ والصالحين من عباد الله قديمًا وحديثًا، فما سُنَّ عمله على وجه الاجتماع كالمكتوبات؛ فُعِلَ كذلك، وما سُنَّ المداومة عليه على وجه الانفراد من الأوراد عُمِلَ كذلك، كما كان الصحابة يجتمعون أحيانًا يأمرون أحدهم يقرأ، والباقون يستمعون، وكان عمر بن الخطاب ﷺ يقول: يا أبا موسى! ذكِّرنا ربَّنا فيقرأ، وهُم يستمعون ".

(الفتاوى الفقهية الكبرى:٢٠/ ٣٨٥)

حال السلف مع الأوْرَاد:

- ***قال الحسن البصري-رحمه الله-:*** كان عمر ﷺ يمر بالآية في ورده فتخنقه فيبكي حتى يسقط، ثم يلزم بيته حتى يُعاد؛ يحسبونه مريضًا ". **(حلية الأولياء:١/٥١)**

- ***وقال محمد بن ثابت البناني-رحمه الله-:*** ذهبت ألقن أبي وهو في الموت" لا إله إلا الله"، فقال:" يا بني، دعني؛ فإني في وردي السادس أو السابع ". **(حلية الأولياء:٢/ ٣٢٢)**

- ***ودخل أبو العباس بن عطاء على الجُنَيْد وهو في النزع، فسلم عليه فسكت، ثم رد عليه بعد ساعة، وقال:*** " اعذرني فإني كنت في وِردي، ثم أقبل بوجهه إلى القبلة، وكبر، ومات ". **(شعب الإيمان:٤/ ٥٤٢)**

- ***وقال محمد بن مِسْعَرِ بن كدام-رحمه الله-:*** كان أبي لا ينام حتى يقرأ نصف القرآن، فإذا فرغ من ورده لف رداءه، ثم هجع عليه هجعة خفيفة، ثم يثب كالرجل الذي ضل منه شيء فهو يطلبه، وإنما هو السواك، والطهور، ثم يستقبل المحراب، فكذلك إلى الفجر، وكان يجهد على إخفاء ذلك جدًا".**(حلية الأولياء:٧/ ١٦٢)**

- ***وقال الذهبي في ترجمة الرئيس الزيادي أبي المحاسن أسعد بن علي بن الموفق:*** " ذكر السَّمْعاني أنه ثقة، صالح، عابد، دائم الأوراد، مستغرق الأوقات، يسرد الصوم ". **(سير أعلام النبلاء:٢٠/٢١٢)**

- ***وفي ترجمة عبد الرحمن بن مَهْدي:*** وكان ورده كل ليلة نصف القرآن ". **(تذكرة الحفاظ:٢٤٢/١)**

- ***وعن الجنيد-رحمه الله- قال:*** سمعتُ السَّرِيَّ يقول:" إذا فاتني جزء من وردي لا يمكنني أن أقضيه أبدا[1] ". **(حلية الأولياء:١٠/ ١٢٤)**

- ***وقال الذهبي أيضًا-رحمه الله- في ترجمة بشر بن منصور الأزدي:*** قال الإمام أحمد: هو ثقة وزيادة. وقال ابن المديني: حفر قبره، وختم فيه القرآن، وكان ورده ثلث القرآن ". **(المصدر السابق:٨/ ٣٦٠)**

- ***وفي ترجمة الإمام أبي منصور الخياط قال الذهبي-رحمه الله-:*** قال السمعاني: صالح، ثقة، عابد، ملقن، له وِردٌ بين العشائين بسبع، وكان صاحب كرامات ".

- ***وفي القصة المشهورة لما أراد الإمام أحمد سماع الحارث المحاسبي.... قال راوي القصة إسماعيل بن إسحاق السَّراج:***".... انصرفت إلى أبي عبد الله وأخبرته، فحضر بعد المغرب وصعد غرفة في الدار، واجتهد في ورده إلى أن فرغ، وحضر الحارث وأصحابه فأكلوا....". **(مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي)**

- ***وقال الذهبي-رحمه الله- في ترجمة عائشة بنت رزق الله بن عوض أم أحمد المقدسية:*** مسنة معمِّرة، روت عن ابن عبد الدائم، وهي والدة شيختنا فاطمة بنت عبد الله بن عمر بن عوض، وكانت من العوابد ذوات البكاء والخشوع والأوراد. **(معجم الشيوخ الكبير:٩٠/٢)**

- ***وقال الذهبي أيضًا-رحمه الله- في ترجمة محمود بن محمد بن أحمد بن مبادر:*** الإمام الزاهد العابد الفقيه المقرئ الشافعي؛ كان كبير القدر، كثير التلاوة والأوراد، قانعًا متعففا مهيبًا. **(سير أعلام النبلاء:٣٣٢/٢)**

- ***وفي ترجمة حماد بن سلمة:*** كانت أوقاته معمورة بالتعبد والأوراد. **(المصدر السابق:٤٤٧/٧)**

- ***وفي ترجمة الإمام محمد بن إسماعيل البخاري-رحمَه اللهُ- أن ابن عَدِيٍّ قال:*** سمعت عبد القدوس بن عبد الجبار السمرقندي يقول: جاء محمد بن إسماعيل البخاري إلى أقربائه بخَرْتَنْكَ، فسمعته يدعو ليلة إذ فرغ من ورده: اللهم إنه قد ضاقت علي الأرض بما رحبت، فاقبضني إليك، فما تم الشهر حتى مات ".
(المصدر السابق)

- ***وقال الذهبي-رحمه الله- في" معرفة القراء الكبار" في ترجمة صافي بن عبد الله مولى ابن الخرقي:*** " مقرئ، مجود، عالي الإسناد، كثير التعبد والأوراد ". **(معرفة القراء الكبار ص:٢٨٠)**

- ***وقال الذهبي-رحمه الله- في" السير":*** للصادق أن يُقل من الكلام والأكل والنوم والمخالطة، وأن يكثر من الأوراد والتواضع، وذكر الموت، وقول: لا حول ولا قوة إلا بالله ". **(سير أعلام النبلاء:٥٣٤/١٤)**

١- ولا يُفهم من كلام السري أنه يتناقض مع ما أصلناه في قضاء الورد إذا فات لعذر، ولكن مقصد السري أن الوقت الذي سيقضي فيه ورده الفائت فهو وقت لعبادة أخرى ستفوت عند قضاء هذا الورد الفائت، ويضيع عليه هذا الوقت الذي كان سيشغله بعبادة أخرى. وجاء في" صفة الصفوة" أن الجُنيد علل ذلك فقال: كان السري متصل الشغل، وكان إذا فاته شيء لا يقدر أن يعيده.

الأدب الخامس والعشرون: يستحب السُّجودُ في مواضعِ سُجودِ التِّلاوة:

مِن أدَبِ تِلاوةِ القُرآنِ الكَريمِ: أنَّه إذا مَرَّ بمَوضِعِ سَجدةٍ، فيُشرَعُ له أن يَسجُدَ.

ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا (١٠٦) قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ (الإسراء: ١٠٦ - ١٠٩).

أخرج البخاري ومسلم واللفظ له من حديث عبدِ اللهِ بنِ عُمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهما قال: " ربَّما قرأ رسولُ اللهِ ﷺ القرآنَ، فيمرُّ بالسَّجدةِ فيَسجُدُ بنا، حتى ازدحَمْنا عنده، حتَّى ما يجِدُ أحدُنا مكانًا ليسجُدَ فيه، في غيرِ صلاةٍ ".

قال الصَّنعانيُّ-رحمه الله-: " والحَديثُ دَليلٌ على مَشروعيَّةِ سُجودِ التِّلاوةِ، وقد أجمَعَ على ذلك العُلماءُ ".

(سبل السلام:١/٢٠٨).

وأخرج البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: " سَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾ (سورة الانشقاق)، وَ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ (سورة العلق) ".

قال النَّوويُّ-رحمه الله-: " فيه إثباتُ سُجودِ التِّلاوةِ، وقد أجمَعَ العُلماءُ عليه ". (شرح مسلم:٥/٧٤)

وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " إذا قَرَأَ ابنُ آدَمَ السَّجدةَ فسَجَدَ، اعتَزَلَ الشَّيطانُ يَبكي، يَقولُ: يا وَيْلَه! أُمِرَ ابنُ آدَمَ بالسُّجودِ فسَجَدَ؛ فله الجَنَّةُ، وأُمِرتُ بالسُّجودِ فعَصَيتُ؛ فلي النَّارُ ".

قال القُرطُبيُّ-رحمه الله-: " وعَوَّل عُلماؤُنا على حَديثِ عُمَرَ ﷺ الثَّابتِ في صحيح البخاريُّ أنَّه ﷺ قَرَأَ آيةَ سَجدةٍ على المِنبَرِ فنَزَل فسَجَدَ، وسَجَدَ النَّاسُ مَعَه، ثُمَّ قَرَأها في الجُمُعةِ الأُخرى فتَهَيَّأ النَّاسُ للسُّجودِ، فقال:" أيُّها النَّاسُ، على رِسلِكُم، إنَّ اللَّهَ لم يَكتُبْها علينا إلَّا أن نَشاءَ"، وذلك بمَحضَرِ الصَّحابةِ رَضِيَ اللهُ عنهم أجمَعينَ، مِنَ الأنصارِ والمُهاجِرينَ، فلم يُنكِرْ عليه أحَدٌ؛ فثَبَتَ الإجماعُ به في ذلك ".

(الجامع لأحكام القرآن:٧/٣٥٨).

وقال الهيتميُّ-رحمه الله-: " بابٌ في سُجودِ التِّلاوةِ والشُّكرِ": تُسَنُّ سَجَداتُ التِّلاوةِ؛ للإجماعِ على طَلَبِها".

(تحفة المحتاج:٢/٢٠٤).

وقال النَّفراويُّ-رحمه الله-: " وأجمَعوا على مَشروعيَّتِه" سُجود التِّلاوةِ" عِندَ قِراءةِ القُرآنِ، ولو في حالةِ الصَّلاةِ ". (الفواكه الدواني:٢/٦٠٧).

سُّجودُ التلاوة في أي وقت سواءً كان الوقتُ وقتَ نهيٍ أم غيره؛ لأنَّ سجود التِّلاوة من ذوات الأسباب.

وليسَ في القُرآنِ أكثرُ مِن خَمسَ عَشرةَ سَجدةً بالإجماعِ، اتَّفَق العلماءُ على سُجودِ عَشْرِ سجَدَاتٍ، وهي كالآتي:

١- في قَولِه تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ (الأعراف: ٢٠٦)

٢- وقَولِه تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ (الرعد: ١٥).

٣- وقَولِه تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (النحل: ٤٩، ٥٠).

٤- وقَولِه تعالى: ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ (الإسراء: ١٠٧ - ١٠٩).

٥- وقَولِه تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ (مريم: ٥٨).

٦- وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ (الحج: ١٨).

٧- وقَولِه تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ (الفرقان: ٦٠).

٨- وقَولِه تعالى: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (النمل: ٢٥، ٢٦).

٩- وفي قَولِه: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (السجدة: ١٥).

١٠- وقَولِه تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾ (فصلت: ٣٧، ٣٨).

- وأما الخَمسُ الباقياتُ المختلف فيها فهي:

١١- قَولِه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الحج: ٧٧).

١٢- وقَولِه تعالى: ﴿وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ (ص: ٢٤).

١٣، ١٤، ١٥- السُّجودُ في المُفصَّلِ (النَّجم، والانشِقاق، والعَلَق). عندَ قَولِه تعالى: ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾ (النجم: ٦٢)، وقَولِه تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ﴾ (الانشقاق: ٢٠، ٢١)، وقَولِه تعالى: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ (العلق: ١٩).

فوائدُ ومسائلُ خاصة بسجود التلاوة:

١- سُجودُ التِّلاوةِ سُنَّةٌ للتَّالي والمُستَمِعِ.

ودليل ذلك ماأخرجه البخاري ومسلم من حديث عبدِ اللهِ بنِ مَسعودٍ ﷺ قال: **" قَرَأَ النَّبيُّ ﷺ (النَّجمَ) بمكَّةَ، فسَجَدَ فيها، وسَجَدَ مَن معَه غَيرَ شَيخٍ...".**

وأخرج البخاري من حديث زَيدِ بن ثابتٍ ﷺ قال: **" قَرَأتُ على النَّبيِّ ﷺ: والنَّجمِ، فلم يَسجُدْ فيها ".**

ووَجْهُ الدَّلالَةِ: أنَّه لو كان واجِبًا لم يَترُكْ زَيدٌ السُّجودَ فيها، ولا تَرَكَه النَّبيُّ ﷺ؛ فدَلَّ هذا -مَعَ الأحاديثِ الأُخرى التي تَدُلُّ على فِعلِه- على أنَّه سُنَّةٌ. **(شرح صحيح البخاري لابن بطال:٣/٥٨).**

قال ابنُ رُشدٍ -رحمه الله-: " ثَبَتَ أنَّ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ قَرَأَ السَّجدةَ يَومَ الجُمُعةِ، فنَزَل وسَجَدَ وسَجَدَ النَّاسُ مَعَه، فلمَّا كان في الجُمُعةِ الثَّانيةِ وقَرَأها تَهَيَّأَ النَّاسُ للسُّجودِ، فقال: على رِسلِكُم، إنَّ اللَّهَ لم يَكتُبْها علينا إلَّا أن نَشاءَ، وهذا بمَحضَرِ الصَّحابةِ، فلم يُنقَلْ عن أحَدٍ مِنهم خِلافٌ، وهم أفهَمُ بمَغزى الشَّرعِ، وهذا إنَّما يَحتَجُّ به مَن يَرى قَولَ الصَّحابيِّ - إذا لم يَكُنْ له مُخالِفٌ- حُجَّةً ". **(بداية المجتهد:١/٢٢٢).**

وقال ابنُ قُدامةَ -رحمه الله-: **" وقد جاء في البخاري ومسلم عن زَيدِ بنِ ثابتٍ قال:" قَرَأتُ على النَّبيِّ ﷺ النَّجمَ، فلم يَسجُدْ مِنَّا أحَدٌ".** وحُكيَ إجماعُ الصَّحابةِ على أن سُجودُ التِّلاوةِ سُنَّةٌ مُؤَكَّدةٌ، وهذا مَذهَبُ الجُمهورِ: الشَّافِعيَّةِ، والحَنابِلةِ، والمالكيَّةِ، وداودَ، وهو قَولُ طائِفةٍ مِنَ السَّلَفِ ". اهـ بتصرف

(المجموع للنووي:٤/٥٨) (المغني لابن قدامة:١/٤٤٦)

أمَّا السَّامِعُ فاختَلَف فيه أهلُ العِلمِ: فقال المالكيَّةُ والحَنابلةُ، وفي وجهٍ للشَّافِعيَّةِ: إنَّه لا يُسَنُّ في حَقِّه السُّجودُ. **(كشاف القناع للبهوتي:١/٤٤٦) (المجموع للنووي:٤/٥٨).**

وذَهَبَ الشَّافِعيَّةُ: إلى أنَّه يُستَحَبُّ ولا يَتَأكَّدُ في حَقِّه. **(المجموع للنووي:٤/٥٨).**

وقال الحَنَفيَّةُ: يَجِبُ على السَّامِعِ السُّجودُ، سَواءٌ قَصَد سَماعَ القُرآنِ أو لم يَقصِدْ. **(مختصر القدوري ص: ٣٧)**

تنبيه: مَنِ استمع إلى قارِئٍ، فقرأ آيةً فيها سجدة، فالمستحبُّ ألاَّ يسجدَ هذا المُستَمِعُ حتَّى يسجدَ القارئُ؛ لأنَّه بمثابة الإمام في هذا السُّجود.

٢- يُكَبِّرُ لسُجودِ التِّلاوةِ في الصَّلاةِ في الخَفضِ والرَّفعِ.

وهذا باتِّفاقِ المذاهبِ الفقهيَّةِ الأربعةِ: الحنفيَّةِ، والمالكيَّةِ، والشَّافعيَّةِ، والحنابلةِ.

(حاشية ابن عابدين:٢/١٠٦) (المجموع للنووي:٤/٦٣)

٣- ولا يُشرَعُ رَفعُ اليَدَينِ عِندَ التَّكبيرِ لسُجودِ التِّلاوةِ، وهذا مَذهَبُ الجُمهورِ: الحَنَفيَّةِ، والمالكيَّةِ، والشَّافِعيَّةِ، ورِوايةٌ عِندَ الحَنابلةِ هيَ قياسُ المَذهَبِ. **(تبيين الحقائق للزيلعي:١/٢٠٨) (المجموع للنووي:٤/٦٣)**

٤- **اختُلِفَ في التَّكبيرِ لسُجودِ التِّلاوةِ في الخَفضِ والرَّفعِ خارِجَ الصَّلاةِ على أقوالٍ، أقواها قَولانِ:**

القَولُ الأوَّلُ: يُسَنُّ التَّكبيرُ لسُجودِ التِّلاوةِ في الخَفضِ والرَّفعِ خارِجَ الصَّلاةِ. وهذا باتِّفاقِ المَذاهِبِ الفِقهيَّةِ الأربَعةِ. (حاشية ابن عابدين:١٠٦/٢) (المجموع للنووي:٦٤/٤) (كشاف القناع للبهوتي:٤٤٨/١).

القَولُ الثَّاني: يُكَبَّرُ للخَفضِ فقَط، ولا يُكَبَّرُ للرَّفعِ. وهذا القَولُ رِوايةٌ عن أبي حَنيفةَ، واختارَه بَعضُ الحَنابلةِ، وابنُ بازٍ، وابنُ عُثيمين. (حاشية ابن عابدين:١٠٦/٢) (مجموع فتاوى ابن باز:٤١٠/١١) (الشرح الممتع لابن عثيمين:١٠٠/٤).

٥- يُقالُ في سُجودِ التِّلاوةِ ما يُشرَعُ قَولُه في سُجودِ الصَّلاةِ مِنَ التَّسبيحِ والدُّعاءِ؛ وذلك لأنَّ الحُكمَ واحِدٌ.

وله أن يقول كما كان النبي ﷺ يقول: "سَجَد وَجْهي للذي خَلَقَه وشَقَّ سَمْعَه وبَصَرَه بحَولِه وقُوَّتِه ".

(رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي عن عائشة رَضيَ اللهُ عنها)

وله أن يقول: " اللَّهمَّ اكتُب لي بِها عندَكَ أجرًا، وضَع عنِّي بِها وزرًا، واجعَلها لي عندَكَ ذُخرًا، وتقبَّلها منِّي كما تقبَّلتَها من عبدِكَ داودَ ".(أخرجه الترمذي وابن ماجه عن ابن عباس وصححه الألباني في صحيح الترمذي: ٣٤٢٤)

٦- لا يُشرَعُ التَّسليمُ في سُجودِ التِّلاوةِ؛ وذلك لأنَّه لم يُنقَلْ، ولا دَليلَ عليه.

الأدب السادس والعشرون: المواظبة على قراءة القرآن، والحذر من هجرانه:

أخي الحبيب اعلم أن تلاوة القرآن من أعظم أنواع التجارة مع الله.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ(٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (فاطر:٢٩،٣٠)

وقد بين رب العالمين في هذه الآيات أن الذين يقرؤون القرآن، ويعملون به، وداوموا على الصلاة في أوقاتها، وأنفقوا مما رزقناهم من أنواع النفقات الواجبة والمستحبة سرًّا وجهرًا، هؤلاء يرجون بذلك تجارة لن تكسُدَ وتفسُدَ ولن تهلك، ألا وهي رضا ربهم، والفوز بجزيل ثوابه؛ ليوفيهم الله تعالى ثواب أعمالهم كاملا غير منقوص، ويضاعف لهم الحسنات من فضله، إن الله غفور لسيئاتهم، شكور لحسناتهم، يثيبهم عليها الجزيل من الثواب.

وهجر البعض منا القرآن، فلا وقت لسماعه، ولا قراءته، ولا حفظه، وإذا قرأناه أو سمعناه لم نتدبره ولم نفهمه، وإذا فهمناه أو تدبرناه لم نعمل به ولم نتحاكم إليه، بل اكتفينا أن نقرأه على الأموات، ونزين به الجدران. ***وقد جاء في الحديث الذي أخرجه ابن حبان والطبراني من حديث جابر ﷺ أن النبي ﷺ قال:***

" القرآن شافع مشفع، وماحل مصدق، من جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار". (صحيح الجامع:٤٤٤٣)

ففي هذا الحديث إنذار ووعيد لمن هجر القرآن المجيد وجعله وراءه ظهريًا، وهذا الصنف يشتكيه النبي الأمين ﷺ لرب العالمين، **كما جاء في القرآن الكريم:** ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾

(الفرقان:٣٠)

قال ابنُ الفرسِ-رحمه الله- في الآية السابقة: " يَحتَمِلُ مَهْجُورًا أن يَكونَ مِنَ الهَجرِ، يُرِيدُ مُبعَدًا مُقصًى، وهو قَولُ ابنِ زَيدٍ. ويحتملُ أن يُرِيدَ مَقولًا فيه هُجْرٌ؛ إشارةً إلى قَولِهم: شِعرٌ وكِهانةٌ وسِحرٌ، وهو قَولُ مُجاهِدٍ والنَّخَعيِّ. وفي قَولِ ابنِ زَيدٍ تَنبيهٌ على تَعاهُدِ المُصحَفِ، وأن لا يُطرَحَ في البُيوتِ ولا يُقرَأَ فيه ".

(أحكام القرآن:٣/ ٣٩٦)

وقال السُّيوطيُّ-رحمه الله-: " قَولُه تعالى: ﴿اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ قال ابنُ الفرسِ: فيه كَراهةُ هَجرِ المُصحَفِ، وعَدَمِ تَعَهُّدِه بالقِراءةِ فيه ". **(الإكليل في استنباط التنزيل ص: ١٩٧)**.

وقال معاذ بن جبل ﷺ كما عند الدارمي: **" سيبلى القرآن في صدور أقوام، كما يبلى الثوب فيتهافت، يقرؤونه لا يجدون له شهوة ولا لذة ".**

وصدق والله معاذ بن جبل ﷺ، فهناك من يقرأ أو يسمع القرآن فلا يجد له شهوة ولا لذة، ويزداد الأمر خطورة وسوءًا عندما يجد هذا أيضًا في شهر رمضان الذي أنزل الله فيه القرآن، بل هناك مَن لا يفتح المصحف فيه، وإذا أطال الإمام في الصلاة يضيق صدره، ويصيبه الضجر والقلق، ويقيم الدنيا ولا يقعدها، وهذا هو حال البعض منا ولا يخفى على أحد.

وصدق والله عثمان بن عفان ﷺ حيث قال: **" لو طهُرت قلوبكم ما شبعت من كلام ربكم".**

يقول ابن القيم-رحمه الله- في كتابه" الفوائد ص:٩٤": **" هجر القرآن أنواع: أحدهما:** هجر سماعه، والإيمان به، والإصغاء إليه [١]، **والنوع الثاني:** هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه، وإن قرأه وآمَنَ به[٢]، **والنوع الثالث:** هجر تحكيمه، والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه، واعتقاد أنه لا يفيد اليقين، وأن أدلته لفظية لا تحصل العلم [٣]، **والنوع الرابع:** هجر تدبُّرِه، وتفهُّمِه، ومعرفة ما أراد المتكلم به منه [٤]، **والنوع الخامس:** هجر الاستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلوب، وأدوائها، فيطلب شفاء دائه من غيره ويهجر التداوي به [٥]، وكل هذا داخل في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ **(الفرقان:٣٠)** وإن كان بعض الهجر أهون من بعض ". اهـ

١- وهُجِرَ القرآنُ المجيد استماعًا، وارتبط استماع القرآن في أذهان كثير من الناس بالأحزان والسرادقات التي تقام للمآتم! بل أقبل الناس على سماع اللهو والغناء ومزمار الشيطان وهجروا قرآن الرحيم الرحمن!

٢- وهُجِرَ القرآنُ العظيم عملًا، فبدل أن يكون منهج حياة متكاملًا يصبح - في واقع الناس إلاَّ من رحم الله - آيات تقرأ عند القبور، ويُهدى ثوابها للأموات، مع أن هؤلاء الأحياء أحوج منهم إلى ثوابها وجعلها منهجًا للحياة بشتَّى أشكالها وصورها، أو تصنع التَّمائم والأحجبة فتعلق على صدور الغلمان، أو يوضع في البيوت والمحلات والسيارت للحفظ والبركة كما يزعمون!

٣- وهُجِرَ القرآنُ العظيم تحاكمًا، ووقع المسلمون في المنكر الأعظم، بتنحية كتاب الله عن الحكم بين الناس، واتُّهِم شَرْعُ الله بالضَّعف والعجز والقصور والتَّخلف عن ركب الحضارة، وحل محله القانون الوضعي الضعيف القاصر يحكم في الدِّماء والأموال والأعراض!

٤- وهُجِرَ القرآنُ العزيز تدبُّرًا، ولو أنزله الله تعالى على الجبال الرواسي الشَّامخات لتصدَّعت من خشيته، فقست القلوب، وتحجَّرت العيون، فلا قلب يتدبر فيخشع، ولا جوارح تنقاد فتخضع، ولا عين تتحرك فتدمع!

٥- وهُجِرَ القرآنُ الكريم استشفاءً وتداويًا، ولجأ الناس إلى السَّحرة والعرافين والدجالين يطلبون منهم الشفاء والدواء لأمراضهم!

(فتح الرحمن في بيان هجر القرآن ص:٥)

قال دكتور عمر المقبل: لو سألت أي مسلم: أتؤمن بأن القرآن هدى، ونور، ورحمة، وشفاء، وحياة للقلب؟ لأجابك – وبلا تردد– نعم! ولكنك تأسف إذا علمت أن الكثير من المسلمين لا يعرف القرآن إلا في رمضان! فإنَّ حال هذا في الحقيقة هو كمن يعلن عن استغنائه عن هدى الله، ونوره، ورحمته، وشفائه، وحياة قلبه، أحد عشر شهرًا!".

فاحذر أخي الحبيب! أن تهجر القرآن الكريم، وعليك أن تكثر من تلاوته في النهار، وتقوم به في الليل، وأخص بهذا الكلام حاملي القرآن.

– وقد أخرج الإمام أحمد والنسائي واللفظ له وابن المبارك في الزهد من حديث السائب بن يزيد ﷺ أنَّ شُرَيحًا الحضرميَّ ذُكِرَ عند النَّبيِّ ﷺ فقال له: **" ذاك رجلٌ لا يتوسَّدُ القرآنَ".** (صحيح النسائي: ١٧٨٢)

وفي هذا الحَديثِ يُخبِرُ السَّائبُ بنُ يَزيدَ ﷺ:" أنَّ شُريحًا الحَضرميَّ ذُكِر عندَ رَسولِ اللهِ ﷺ، أي: ذَكَر اسْمَه الحاضِرونَ في جَلْسةٍ مع النبيِّ ﷺ، وكان شُرَيحٌ الحَضرميُّ مِن أفاضِلِ أصحابِ النَّبيِّ ﷺ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ:" **ذاك رجلٌ لا يَتوسَّدُ القُرآنَ**"، يَعني: لا ينامُ عليه فيَصيرُ له كالوِسادةِ، بل هو يَقرَؤُه ويتهجَّدُ به، ولا يَهجُرُه، بل ينامُ معه، فكأنَّ القُرآنَ لا يفارِقُه.

وقال ابن مسعود ﷺ: **" ينبغي لقارئ القرآن أن يعرف بليله إذا الناس ينامون، وبنهاره إذا الناس يفطرون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبورعه إذا الناس يخلطون، وبصمته إذا الناس يخوضون، وبخشوعه إذا الناس يختالون، وبحزنه إذا الناس يفرحون ".**

فأما من كان معه القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل به بالنهار، فإن القرآن سيكون خصمًا له.

فقد أخرج البخاري من حديث سمرة بن جندب ﷺ: **أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رأى فِي مَنَامِهِ رَجُلًا مُضْطَجِعًا عَلَى قَفَاهُ، وَرَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِهِ بِفِهْرٍ، أَوْ صَخْرَةٍ، فَيَشْدَخُ بِهِ رَأْسَهُ، فَإِذَا ضَرَبَهُ تَدَهْدَهَ الْحَجَرُ، فَانْطَلَقَ إِلَيْهِ لِيَأْخُذَهُ، فَلَا يَرْجِعَ إِلَى هَذَا، حَتَّى يَلْتَئِمَ رَأْسُهُ، وَعَادَ رَأْسُهُ كَمَا هُوَ، فَعَادَ إِلَيْهِ فَضَرَبَهُ " فسأل عنه فقيل له:" هَذَا رَجُلٌ عَلَّمَهُ اللهُ القُرآنَ، فَنَامَ عَنْهُ بِاللَّيْلِ، وَلَمْ يَعْمَلْ فِيهِ بِالنَّهَارِ، يُفْعَلُ به إلى يوم القيامة ".**

يا من ضيع عمره في غير الطاعة! يا من فرط في شهره وأضاعه؟ يا من بضاعته التسويف والتفريط، وبئست البضاعة. يامن جعل خصمه القرآن وشهر رمضان، كيف ترجو ممن جعلته خصمك الشفاعة؟!

فيا أيها الأحبة... عليكم بالقرآن قبل فوات الإمكان، وحافظوا على حدوده من التفريط والعصيان. واعلموا أنه شاهد لكم أو عليكم عند الملك الديان. وليس من شُكرِ نعمة الله بإنزاله علينا أن نتخذه وراءنا ظهريا.

فعلينا أن نتعاهد القرآن ونواظب على قراءته حتى لا يتفلت منا، وحتى لا نكون من جملة من يشكوهم الرسول ﷺ لربه: ***وقد أخرج البخاري ومسلم من حديث ابنِ عُمَرَ رضِيَ اللهُ عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:*** **" إنَّما مَثَلُ صاحِبِ القُرآنِ كمَثَلِ الإبِلِ المُعَقَّلةِ[1]، إن عاهَد عليها أمسَكَها، وإن أطلَقَها ذَهَبَت ".**

١ـ المُعَقَّلةِ: أي: المشدودةِ بالعُقُلِ، جمعُ عِقالٍ، وهو الحبلُ الذي تُشَدُّ به ركبتُه. (الإفصاح عن معاني الصحاح لابن هبيرة: ٤/ ١٥٠)

- ***وفي رِوايةٍ:*** " وإذا قامَ صاحِبُ القُرآنِ فقَرَأه باللَّيلِ والنَّهارِ ذَكَرَه، وإذا لم يَقُمْ به نَسِيَه ". (أخرجه مسلم)

فقد أخرج البخاري ومسلم واللفظ له من حديث عبدِ اللهِ بنِ مَسعودٍ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " بئسَما لأحَدِهم يَقولُ: نَسِيتُ آيةَ كَيتَ وكَيتَ، بَل هو نُسِّيَ، استَذكِروا القُرآنَ؛ فلهو أشَدُّ تَفَصِّيًا[1] مِن صُدورِ الرِّجالِ مِنَ النَّعَمِ بعُقُلِها[2] ".

- ***وفي رِوايةٍ:*** " تَعاهَدوا هذه المَصاحِفَ- وربَّما قال: القُرآنَ- فلهو أشَدُّ تَفصِّيًا مِن صُدورِ الرِّجالِ مِنَ النَّعَمِ مِن عُقُلِه". (أخرجه مسلم).

وأخرج البخاري ومسلم واللفظ له من حديث أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " تَعاهَدوا هذا القُرآنَ، فوالذي نَفسُ مُحَمَّدٍ بيَدِه لهو أشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الإبِلِ في عُقُلِها ".

والتَّعَهُّدُ والتَّعاهُدُ: هو التَّحَفُّظُ بالشَّيءِ وتَجديدُ العَهدِ به، ومَعناه هاهنا التَّوصيةُ بتَجديدِ العَمَلِ بقِراءَتِه؛ لئَلَّا يَذهَبَ عنه، وفي مَعناه: " استَذكِروا القُرآنَ": أي: تَفَقَّدوا القُرآنَ بالذِّكرِ، وهو عِبارةٌ عنِ استِحضارِه في القَلبِ وحِفظِه عنِ النِّسيانِ بالتِّلاوةِ، **وهو في رِوايةِ ابنِ مَسعودٍ، وفيه:** " لهو أشَدُّ تَفَصِّيًا مِنَ الإبِلِ في عُقُلِها"، والتَّفَصِّي مِنَ الشَّيءِ: التَّخَلُّصُ مِنه، تَقولُ: تَفَصَّيتُ مِنَ الدُّيونِ: إذا خَرَجتَ مِنها. وعُقُلٌ: جَمعُ عِقالٍ، مِثلُ كُتُبٍ وكِتابٍ، يُقالُ: عَقَلتُ البَعيرَ أعقِلُه عَقلًا، وهو أن يَثنيَ وظيفَه[3] مَعَ ذِراعِه، فيَشُدَّهما جَميعًا في وسَطِ الذِّراعِ، وذلك الحَبلُ هو العِقالُ. وتَقديرُ الكَلامِ: لهو أشَدُّ مِنَ الإبِلِ تَفَصِّيًا مِن عُقُلِها. **والمَعنى:** أنَّ صاحِبَ القُرآنِ إذا لم يتعاهَدْه بتِلاوتِه والتَّحَفُّظِ والتَّذَكُّرِ حالًا فحالًا، إلَّا كان أشَدَّ ذَهابًا مِنَ الإبِلِ إذا تَخَلَّصَت مِنَ العِقالِ، فإنَّها تَنفَلِتُ حتَّى لا تَكادَ تُلحَقُ ". (**الميسر في شرح مصابيح السنة للتُّورِبِشْتِي:٢/ ٥٠٧**).

وقال ابنُ حَجَرٍ-رحمه الله-: " التَّحريرُ أنَّ التَّشبيهَ وقَعَ بَينَ ثَلاثةٍ بثَلاثةٍ؛ فحامِلُ القُرآنِ شُبِّهَ بصاحِبِ النَّاقةِ، والقُرآنُ بالنَّاقةِ، والحِفظُ بالرَّبطِ... وفي هذه الأحاديثِ الحَضُّ على مُحافظةِ القُرآنِ بدَوامِ دِراستِه وتَكرارِ تِلاوتِه وضَربِ الأمثالِ لإيضاحِ المَقاصِدِ ". (**فتح الباري:٩/ ٨٢**).

أخرج الإمام أحمد والنسائي في" السنن الكبرى" من حديث عُقبةَ بنِ عامرٍ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " تَعَلَّموا كِتابَ اللهِ، وتَعاهَدوه وتَغَنَّوا به؛ فوالذي نَفسي بيَدِه لهو أشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ المَخاضِ في العُقُلِ ".

(صحيح الجامعِ:٢٩٦٤) (وصَحَّحَ إسنادَه شُعَيب الأرناؤوط في تَخريج مسند أحمد:١٧٣١٧).

قال المناوي-رحمه الله-: " وقوله" تَعَلَّموا كِتابَ اللهِ" القُرآنَ، أي: احفَظوه وتَفَهَّموه" وتَعاهَدوه" زادَ في رِوايةٍ: "واقتَنوه"، أي: الزَموه،" وتَغَنَّوا به"، أي: اقرَؤوه بتَحزينٍ وترقيقٍ، وليس المُرادُ قِراءَتَه بالألحانِ والنَّغماتِ،" فوالذي نَفسي بيَدِه لَهو أشَدُّ تَفَلُّتًا"، أي: ذَهابًا "مِنَ المَخاضِ"، أي: النُّوقِ الحَواملِ، "في العُقُلِ" جمعُ عِقالٍ، وعَقَلتُ البَعيرَ: حَبَستُه، وخُصَّ ضَربُ المَثَلِ بها؛ لأنَّها إذا انفلَتَت لا تَكادُ تُلحَقُ ".

(فيض القدير:٣/ ٢٥٥)

١- أشَدُّ تَفصِّيًا: يَعني ذَهابًا وانفِلاتًا. (أعلام الحديث للخطابي:٣/ ١٩٤٧).
٢- النَّعَمُ: الإبلُ، ولا واحِدَ له مِن لفظِه. والعُقُلُ: جَمعُ عِقالٍ، وهو ما تُعقَلُ به النَّاقةُ. (المفهم لأبي العباس القرطبي:٢/ ٤٢٠).
٣- الوَظيفُ: مُستَدَقُّ الذِّراعِ والسَّاقِ مِنَ الخَيلِ والإبِلِ ونَحوِهما. (الصحاح للجوهري:٤/ ١٤٣٩).

قال ابن رجب في" لطائف المعارف ص:٢٤٩": " وهذا كتاب الله يتلى فيه بين أظهركم ويسمع، وهو القرآن الذي لو أنزل على جبل لرأيته خاشعا يتصدع، ومع هذا فلا قلب يخشع، ولا عين تدمع، ولا صيام يصان عن الحرام فينفع، ولا قيام استقام فيرجى في صاحبه أن يشفع، قلوب خلت من التقوى فهي خراب بلقع وتراكمت عليها ظلمة الذنوب فهي لا تبصر ولا تسمع، كم تتلى علينا آيات القرآن وقلوبنا كالحجارة أو أشد قسوة، وكم يتوالى علينا شهر رمضان وحالنا فيه كحال أهل الشقوة، لا الشاب منا ينتهي عن الصبوة، ولا الشيخ ينزجر عن القبيح فيلتحق بالصفوة، أين نحن من قوم إذا سمعوا داعي الله أجابوا الدعوة وإذا تليت عليهم آيات الله جلت قلوبهم جلوة، وإذا صاموا صامت منه الألسنة والأسماع والأبصار، أفما لنا فيهم أسوة؟ كما بيننا وبين حال الصفا أبعد مما بيننا وبين الصفا والمروة، كلما حسنت منا الأقوال ساءت الأعمال، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ". اهـ

فاللهمَّ ارزقنا تلاوةَ القرآن وحفظه على الوجه الذي يرضيك عنا. واهدنا به سبلَ السلام، وأخرجنا به من الظلمات إلى النور، واجعله حجةً لنا لا علينا واغفر لنا به الزلات والسيئات، وارفع لنا به الدرجات يا مجيب الدعوات..... آمين

فوائد وتنبيهات:

١- مَسألةُ نِسيانِ القُرآنِ:

قال ابنُ عُثَيمين-رحمه الله-: " نِسيانُ القُرآنِ له سَبَبانِ: الأوَّلُ: ما تَقتَضيه الطَّبيعةُ. الثَّاني: الإعراضُ عنِ القُرآنِ وعَدَمُ المُبالاةِ به. **فالأوَّلُ:** لا يَأثَمُ به الإنسانُ ولا يُعاقَبُ عليه؛ فقد وقَعَ مِن رَسولِ اللهِ ﷺ حينَ صَلَّى بالنَّاسِ ونَسيَ آيةً، فلمَّا انصَرَف ذَكَّرَه بها أُبَيُّ بنُ كَعبٍ ﷺ، فقال له النَّبيُّ ﷺ:" **هَلَّا كُنتَ أذكَرتَنيها**[1]". وهذا يَدُلُّ على أنَّ النِّسيانَ الذي يَكونُ بمُقتَضى الطَّبيعةِ ليسَ فيه لومٌ على الإنسانِ. أمَّا ما سَبَبُه الإعراضُ وعَدَمُ المُبالاةِ فهذا قد يَأثَمُ به. وبَعضُ النَّاسِ يَكيدُ له الشَّيطانُ ويوسوِسُ له ألَّا يَحفَظَ القُرآنَ لئَلَّا يَنساه ويَقَعَ في الإثمِ...، فليَحفظِ الإنسانُ القُرآنَ؛ لأنَّه خَيرٌ، وليُؤَمِّلْ عَدَمَ النِّسيانِ، واللَّهُ سُبحانَه عِندَ ظَنِّ عَبدِه به ".

(مجموع فتاوى ورسائل العثيمين:٢٦/ ٢٦٩).

٢- المُحافَظةِ على قِراءةِ القرآن باللَّيلِ:

قال النَّوويُّ-رحمه الله-: " يَنبَغي أن يَكونَ اعتِناؤُه بقِراءةِ اللَّيلِ أكثَرَ ؛ **قال اللهُ تعالى:** ﴿**مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ(١١٣) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ**﴾ (آل عمران: ١١٣،١١٤).

أخرج البخاري ومسلم من حديث عبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رضِيَ اللهُ عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: " **نِعمَ الرَّجُلُ عَبدُ اللَّهِ لو كان يُصَلِّي مِنَ اللَّيلِ** ".

١- أخرجه أبو داود عن مِسوَرِ بنِ يَزيدَ الأسديِّ، قال: صَلَّى رَسولُ اللهِ ﷺ وتَرَكَ آيةً، فقال له رَجُلٌ: يا رَسولَ اللهِ، تَرَكتَ آيةَ كَذا وكَذا، قال: فهَلَّا ذَكَّرتَنيها". (صحيح سنن أبي داود:٩٠٧) (وحَسَّنه شعيب الأرناؤوط في تخريج سنن أبي داود:٩٠٧).
وسَمِعَ رَسولُ اللهِ قارِئًا يَقرَأُ، فقال: "يَرحَمُ اللهُ فُلانًا؛ فقد ذَكَّرَني آيةً كُنتُ أنسيتُها". (أخرجه البخاري ومسلم من حديثِ عائِشةَ رَضِيَ اللهُ عنها)

وأخرج البخاري ومسلم أنَّه ﷺ قال: **" يا عَبدَ اللهِ لا تَكُنْ مِثلَ فُلانٍ، كان يَقومُ اللَّيلَ ثُمَّ تَرَكَه ".**

وقد جاءَ عن أبي الأحوَصِ الجُشَميِّ قال: **" إن كان الرَّجُلُ ليَطرُقُ الفُسطاطَ طُروقًا -أي: يَأتيه ليلًا- فيَسمَعُ لأهلِه دَوِيًّا كدَويِّ النَّحلِ! قال: فما بالُ هؤلاء يَأمَنونَ ما كان أولئِكَ يَخافونَ؟!".** (أخرجه وكيع في الزهد)

وإنَّما رَجَحَت صَلاةُ اللَّيلِ وقِراءَتُه؛ لكَونِها أجمَعَ للقَلبِ، وأبعَدَ عنِ الشَّاغِلاتِ والمُلهياتِ والتَّصَرُّفِ في الحاجاتِ، وأصونَ عنِ الرِّياءِ وغَيرِه مِنَ المُحبِطاتِ، مَعَ ما جاءَ الشَّرعُ به مِن إيجادِ الخَيراتِ في اللَّيلِ؛ فإنَّ الإسراءَ برَسولِ اللهِ ﷺ كان ليلًا، وحَديثُ: **"يَنزِلُ رَبُّكُم كُلَّ ليلةٍ إلى سَماءِ الدُّنيا حينَ يَمضي شَطرُ اللَّيلِ، فيَقولُ: هَل مِن داعٍ فأستَجيبَ له...".**

والحَديثُ أخرجه البخاري ومسلم من حديثِ أبي هرَيرةَ ﷺ ولفظُ مُسلمٍ: **" إذا مَضى شَطرُ اللَّيلِ أو ثُلُثاه، يَنزِلُ اللهُ تَبارَكَ وتعالى إلى السَّماءِ الدُّنيا، فيَقولُ: هَل مِن سائِلٍ يُعطى؟ هَل مِن داعٍ يُستَجابُ له؟ هَل مِن مُستَغفِرٍ يُغفرُ له؟ حتَّى يَنفجِرَ الصُّبحُ ".**

وفي الصَّحيحِ أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قال: **" في اللَّيلِ ساعةٌ يَستَجيبُ اللهُ فيها الدُّعاءَ كُلَّ ليلةٍ".**

وأخرجه مسلم باختلافٍ يسيرٍ ولفظُه: **إنَّ في اللَّيلِ لساعةً لا يوافِقُها رَجُلٌ مُسلمٌ يَسألُ اللَّهَ خَيرًا مِن أمرِ الدُّنيا والآخِرةِ إلَّا أعطاه إيَّاه، وذلك كُلَّ ليلةٍ".**

واعلَمْ أنَّ فضيلةَ القيامِ باللَّيلِ والقِراءةِ فيه تَحصُلُ بالقَليلِ والكَثيرِ، وكُلَّما كَثُرَ كان أفضَلَ، إلَّا أن يَستَوعِبَ اللَّيلَ كُلَّه؛ فإنَّه يُكرَهُ الدَّوامُ عليه، وإلَّا أن يَضُرَّ بنَفسِه. ومِمَّا يَدُلُّ على حُصولِه بالقَليلِ **حَديثُ عَبدِ اللَّهِ بنِ عَمرِو بنِ العاصِ رَضِيَ اللهُ عنهما قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ:** **" مَن قامَ بعَشرِ آياتٍ لم يُكتَبْ مِنَ الغافِلينَ، ومَن قامَ بمِائةِ آيةٍ كُتِبَ مِنَ القانِتينَ، ومَن قامَ بألفِ آيةٍ كُتِبَ مِنَ المُقَنطِرينَ".** (رَواه أبو داودَ وغَيرُه)". اهـ

(التِّبيان في آداب حملة القرآن ص: ٦٣-٦٦)

وأفضَلُ الأحوالِ قِراءةُ وِردِ القُرآنِ في الصَّلاةِ[1]، ولا سيَّما في قيامِ اللَّيلِ؛ لما تَقدَّم.

وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" أيُحِبُّ أحَدُكُم إذا رَجَعَ إلى أهلِه أن يَجِدَ فيه ثَلاثَ خَلِفاتٍ[2] عِظامٍ سِمانٍ؟ قُلنا: نَعَم، قال: فثَلاثُ آياتٍ يَقرَأُ بهنَّ أحَدُكُم في صَلاتِه خَيرٌ له مِن ثَلاثِ خَلِفاتٍ عِظامٍ سِمانٍ ".**

وقال ابنُ هُبَيرةَ-رحمه الله-: " أمَّا قَولُه: **" أن يَجِدَ فيه"** فالضَّميرُ فيه عائِدٌ إلى البَيتِ. والمَعنى في ذلك: أنَّ مَظِنَّةَ القِراءةِ والتَّطويلِ فيها إنَّما يَكونُ في البُيوتِ، ومِمَّا يُصَلِّي فيه الإنسانُ لنَفسِه دونَ الجَماعاتِ؛ فإنَّ تلك لا يُستَحَبُّ فيها التَّطويلُ كهذه ". (الإفصاح:٨/ ٦٥).

١- روى أبو نعيم في" حلية الأولياء" عن سُفيانَ الثَّوريِّ قال:" أفضَلُ الذِّكرِ تِلاوةُ القُرآنِ في الصَّلاةِ، ثُمَّ تِلاوةُ القُرآنِ في غَيرِ الصَّلاةِ، ثُمَّ الصَّومُ، ثُمَّ الذِّكرُ ".

٢- الخَلِفاتُ: النُّوقُ الحَوامِلُ إلى أن يُمضى لها نِصفُ أمَدِها، ثُمَّ هي عُشَرَاءُ. (إكمال المعلم لعياض:٣/ ١٧٢).

الأدب السابع والعشرون: يُستَحَبُّ أن يختم القرآن في مدة لا تزيد عن الأربعين يومًا:

فقد أخرج أبو داود واللفظ له، والترمذي عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو -رَضِيَ اللهُ عنهما- **أنَّهُ سألَ النَّبيَّ ﷺ في كم يقرأُ القرآنَ قالَ: في أربعينَ يومًا. ثمَّ قالَ: في شَهرٍ. ثمَّ قالَ: في عشرينَ. ثمَّ قالَ: في خمسَ عشرةَ. ثمَّ قالَ: في عشرٍ. ثمَّ قالَ: في سبعٍ. لم ينزل من سبعٍ ".** (صحيح أبي داود: ١٣٩٥)

وأخرجه التِّرْمِذِيُّ من حديث عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: **" اقْرَأِ الْقُرْآنَ في أَرْبَعِينَ ".** (صحيح الجامع:١١٥٤) (الصحيحة:١٥١٢).

قِراءةُ القُرآنِ من أفضلِ الأعمالِ التي تُقرِّبُ إلى الله تعالَى، ويَنبَغي أن تَكونَ قِراءتُه قِراءةَ تدَبُّرٍ وفَهْمٍ للمَعاني؛ حتَّى يتَسنَّى للمُسلِمِ أن يُطبِّقَ ما فيه مِن أوامِرَ ونَوَاهٍ وتوجيهاتٍ؛ ولذلك أمَرَ النَّبيُّ ﷺ أن يُختَمَ القرآنُ قِراءةً في مُدَّةٍ مِن الأيَّامِ يتَمكَّنُ فيها القارئُ مِن الفَهْمِ والتَّدبُّرِ، **كما جاء في هذا الحَديثِ الذي يُخبِرُ عبدُ اللهِ بنُ عمرِو بنِ العاصِ رَضِيَ اللهُ عنهما:" أنَّه سألَ النَّبيَّ ﷺ: في كم يُقرَأُ القرآنُ؟"**، أي: في كم يومٍ يمكِنُه أن يَقرَأَه ويُنهِيَه؟ فقال له النَّبيُّ ﷺ:" في أربَعينَ يومًا"؛ وذلك مُراعاةً للتَّدبُّرِ وحُسْنِ التِّلاوةِ، وفي هذا إشارةٌ إلى أنَّ القِراءةَ لا بُدَّ أن تكونَ عن فَهْمٍ وتدَبُّرٍ.

وقد أوضَحَتِ الرِّواياتُ الأُخرى أنَّ عَبدَ اللهِ ظلَّ يُراجِعُ النَّبيَّ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ في ذلك؛ لأنَّ به قُوَّةً على أنْ يَقرَأَه في أقلَّ مِن تِلْك المدَّةِ، فقال له النَّبيُّ ﷺ:" **في شهرٍ**"، أي: في مُدَّةِ خَتمِه، ثمَّ قال:" **في عِشْرينَ**"، ثمَّ قال:" **في خمسَ عشْرةَ**"، ثمَّ قال:" **في عَشرٍ**"، ثمَّ قال:" **في سَبعٍ**"، أي: سبعِ ليالٍ، قال عبدُ اللهِ:" لم يَنزِلْ مِن سبعٍ"، أي: لم يُقلِّلْ له النَّبيُّ ﷺ في مُدَّةِ خَتمِه للقُرآنِ عَن سَبعةِ أيَّامٍ، **وفي صحيحِ البخاريِّ**: أنَّه قال للنَّبيِّ ﷺ:" **إنِّي أُطيقُ أكثرَ**"، فما زالَ حتَّى قال له النَّبيُّ ﷺ:" **في ثَلاثٍ**"، أي: اختِمْه في ثلاثِ ليالٍ، أي: معَ أيَّامِها؛ فيَنبغي للعَبدِ أنْ يَستكثِرَ من قِراءةِ القرآنِ ما يُمكنه الدوامُ عليه ولا يَعتادُ إلَّا ما يَغلِبُ على ظَنِّه الدوامُ عليه في حالِ نَشاطِه، وقد كان للسَّلَفِ عاداتٌ مختلفةٌ في ذلِك بحسَبِ أحوالِهم وأفهامِهم ووظائِفهم، وأكثرُهم كانوا يَختِمون في سَبعةِ أيامٍ. (الدرر السنية)

وقفة: ذهب بعض أهل العلم إلى أن القَدْر المُستحبَّ في خَتْمِ القرآن أقلُّه: ثلاثة أيَّام، وأوسطه: سبعة أيَّام، أو عشرة، أو عشرونَ، وأكثره: أربعون يومًا.

الأدب الثامن والعشرون: يُستَحَبُّ البُكاءُ عِندَ تِلاوةِ القُرآنِ:

بعض الناس إذا رأى مشهدًا تمثليًا مؤثرًا، أو سمع أغنية عاطفية، فإنه يهفو قلبه، ويقشعر جلده، وتبكي عينه، في حين أنه إذا سمع القرآن من فاتحة الكتاب إلى سورة الناس لا يتحرك فيه ساكن، فلا تدمع له عين، ولا يقشعر له بدن، وقد قال رب العالمين قال في كتابه الكريم: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الحشر:٢١)

فيبغي لقارئ القرآن أن يبكي عند قراءة القرآن، فإن لم يستطع أن يبكي فليتباك- أي يتكلف البكاء- وهذا البكاء دليل على استشعار عظمة الله تعالى، وإعمال الفكر، وحضور القلب.

وقد قال تعالى في سياق الثناء على الأنبياء عليهم السلام: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ (مريم: ٥٨)

قال عبد الأعلى التيمي-رحمه الله-: "إن من أُوتي من العلم ما لم يبكه لخليق أن لا يكون أوتي علما ينفعه، لأن الله نعت العلماء فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا[1] (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ (الإسراء: ١٠٧-١٠٩)

(جامع البيان للطبري:٨/١٦٥)

ويُروَى عن ابن عباس-رضي الله عنهما- قال: " إذا قرأتم سجدة ﴿سُبْحَانَ[2]﴾ فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا، فإن لم تبكِ عينُ أحدكم؛ فليبك قلبه ". (الإحياء:١/٥٠٢).

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ (المائدة:٨٣)

وقال تعالى منكرًا على المشركين: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (٥٩) وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ (٦٠) وَأَنتُمْ سَامِدُونَ[3]﴾ (سورة النجم: ٥٩-٦١)

قال السُّيوطيُّ-رحمه الله-: " **وقولُه تعالى:** ﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ... ﴾ إلى آخِرِ السُّورةِ، فيها استِحبابُ البُكاءِ عِندَ القِراءةِ ".

قال الغزالي-رحمه الله-: " البكاء مستحبٌّ مع القراءة، والطريق في تحصيله أن يحضر قلبه الحزن؛ بأن يتأمَّل ما في القرآن من الوعيد والتهديد، والمواثيق والعهود، ثم يتأمَّل تقصيره في ذلك، فإن لم يحضره حزن وبكاء كما يحضر الخواص، فليبْكِ على فقد ذلك منه، فإنه من أعظم المصائب ".

١- يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا: أي يخرون لله ساجدين على جباههم، وليس المراد السجود على الذَّقن، وإنما هي كلمة تقال لمن خر ساجدًا، فمن سجد على وجهه فقد خرَّ على ذَقنه ساجدًا.

٢- يقصد قوله تعالى:. ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا(١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا(١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ (سورة الإسراء:١٠٧-١٠٩)

٣- سامدون: غافلون لاهون عنه، وعن تدبره.

وقال النَّوويُّ-رحمه الله-: " يُستَحَبُّ البُكاءُ والتَّباكي لمَن لا يَقدِرُ على البُكاءِ، فإنَّ البُكاءَ عِندَ القِراءةِ صِفةُ العارِفينَ، وشِعارُ عِبادِ اللهِ الصَّالحينَ ". (الأذكار ص: ١٠٧).

وقال أيضًا: " يُستَحَبُّ البُكاءُ عِندَ القِراءةِ، وهيَ صِفةُ العارِفينَ، وشِعارُ عِبادِ اللهِ الصَّالحينَ... والأحاديثُ والآثارُ فيه كَثيرةٌ. وطَريقُه في تَحصيلِ البُكاءِ أن يَتأمَّلَ ما يَقرَؤُه مِنَ التَّهديدِ والوعيدِ الشَّديدِ والمَواثيقِ والعُهودِ، ثُمَّ يُفكِّرَ في تَقصيرِه فيها، فإن لم يَحضُرْه عِندَ ذلك حُزنٌ وبُكاءٌ فليَبكِ على فَقدِ ذلك؛ فإنَّه مِنَ المَصائِبِ ". (المجموع شرح المهذب:٢/ ١٦٥).

وأخرج البخاري ومسلم من حديث عَبدِ اللهِ بنِ مَسعودٍ ﷺ قال: قال لي النَّبيُّ ﷺ: اقرَأْ عَلَيَّ، قُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، آقرأُ عليك، وعليك أنزِلَ؟! قال: نَعَم، فقَرَأتُ سورةَ النِّساءِ حَتَّى أتَيتُ إلى هذه الآيةِ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ (النساء: ٤١)، قال: حَسْبُك الآنَ! فالتَفتُّ إليه، فإذا عَيناه تَذرِفانِ ".

أخرج الإمام أحمد والنسائي من حديث عبدِ اللهِ بنِ الشِّخِّيرِ ﷺ قال: " أتَيتُ النَّبيَّ ﷺ وهو يُصَلِّي ولِجَوفِه أزيزٌ كَأزيزِ المِرجَلِ[1] ".

- ***وفي روايةعند أبي داود بلفظ:*** رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ يُصلِّي وفي صدرِه أزيزٌ كأزيزِ الرَّحى[2] مِنَ البكاءِ ".

(صحيح أبي داود: ٩٠٤)

وأخرج الإمام أحمد والنسائي في" السنن الكبرى" وابن حبان من حديث عَلِيٍّ ﷺ قال: " ما كان فينا فارِسٌ يومَ بَدرٍ غَيرُ المِقدادِ، ولَقد رَأيتُنا وما فينا قائِمٌ إلَّا رَسولُ اللهِ ﷺ تَحتَ شَجَرةٍ يُصَلِّي ويَبكي حَتَّى أصبَحَ!"

(صحيح الترغيب:٥٤٥)

وأخرج ابن حبان عن عُبَيدِ بنِ عُمَيرٍ أنَّه قال لعائِشةَ-رَضيَ اللهُ عنها- أخبرينا بأعجَبِ شَيءٍ رَأيتِه مِن رَسولِ اللهِ ﷺ، قال: فسَكَتَت ثُمَّ قالت: لمَّا كان لَيلةً مِنَ اللَّيالي قال: يا عائِشةُ، ذَريني أتَعَبَّدُ اللَّيلةَ لرَبِّي، قُلتُ: واللهِ إنِّي لأُحِبُّ قُربَك وأُحِبُّ ما سَرَّك، قالت: فقامَ فتَطَهَّرَ ثُمَّ قامَ يُصَلِّي، فلَم يَزَلْ يَبكي حَتَّى بَلَّ حِجرَه، ثُمَّ بَكى فلَم يَزَلْ يَبكي حَتَّى بَلَّ لِحيَتَه، ثُمَّ بَكى فلَم يَزَلْ يَبكي حَتَّى بَلَّ الأرضَ، فجاءَ بِلالٌ يُؤذِنُه بالصَّلاةِ، فلَمَّا رَآه يَبكي قال: يا رَسولَ اللهِ، لمَ تَبكي وقد غَفرَ اللهُ لَك ما تَقدَّم وما تَأخَّرَ؟ قال: أفلا أكونُ عَبدًا شَكورًا؟ لَقد نَزَلَت عليَّ اللَّيلةَ آيةٌ وَيلٌ لِمَن قَرَأها ولَم يَتفكَّرْ فيها: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (آل عمران:١٩٠، ٢٠٠)". (صحيح الترغيب:١٤٦٨)

١- أزيزِ المِرجَلِ: غليان القِدر. قال البَغَويُّ-رحمه الله-:" أزيزُ المِرجَلِ: صَوتُه، يُريدُ غَلَيانَ جَوفِه بالبُكاءِ. ويُروى:" كَأزيزِ الرَّحى" وهو صَوتُها وجَرجَرَتُها، والأزيزُ والهَزيزُ: الصَّوتُ، وأصلُ الهَزِّ والأزِّ: التَّحريكُ، ومِنه قَولُه سُبحانَه وتعالى: ﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ (مريم: ٨٣)، أي: تُزعِجُهم، ويُقالُ: أُزَّ قِدْرَك، أي: ألهِبْ النَّارَ تَحتَها".

(شرح السنة:٣/ ٢٤٥)

٢- أزيزُ الرَّحَى: وهو صوتُ الطاحونةِ في دَورانِها عند طَحنِ الحَبِّ.

وأخرج الترمذي والنسائي والحاكم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:" لا يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللهِ حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ، ولا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ الله وَدُخَانُ جَهَنَّمَ ".

(صححه الألباني في تحقيق المشكاة رقم:٣٨٢٨)

وأخرج الترمذي من حديث ابن عباس-رضي الله عنهما- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ الله ".(حسنه الحافظ في" الفتح:٦/٨٣).

قال في" تحفة الأحوذي:٥/٢٦٩": قوله:" عينان لا تمسهما النار"، أي: لا تمس صاحبهما، فعبر بالجزء عن الجملة، وعبر بالمس إشارة إلى امتناع ما فوقه بالأولى". اهـ

وأخرج الترمذي عن أبي أمامة ﷺ عن النبي ﷺ قال:" لَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ قَطْرَتَيْنِ وَأَثَرَيْنِ: قَطْرَةٌ مِنْ دُمُوعٍ فِي خَشْيَةِ اللهِ، وَقَطْرَةُ دَمٍ تُهْرَاقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَمَّا الْأَثَرَانِ: فَأَثَرٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَثَرٌ فِي فَرِيضَةٍ مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ ". (صححه الألباني في تحقيق المشكاة رقم:٣٨٣٧)

وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:" سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ في ظِلِّهِ، يَومَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّهُ: الإمَامُ العَادِلُ، وشَابٌّ نَشَأَ في عِبَادَةِ رَبِّهِ، ورَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ في المَسَاجِدِ، ورَجُلَانِ تَحَابَّا في اللَّهِ اجْتَمَعا عليه وتَفَرَّقَا عليه، ورَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وجَمَالٍ، فَقَالَ: إنِّي أخَافُ اللَّهَ، ورَجُلٌ تَصَدَّقَ، أخْفَى حتَّى لا تَعْلَمَ شِمَالُهُ ما تُنْفِقُ يَمِينُهُ، ورَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ ".

وجاء في حلية الأولياء:٢/٥٥" عن عبد الله بن عبيدة-رحمه الله- أن نفرًا اجتمعوا في حجرة صفية بنت حيي -رضي الله عنها- زوج النبي ﷺ، فذكروا الله وتلوا القرآن وسجدوا، فنادتهم صفية -رضي الله عنها- فقالت: هذا السجود وتلاوة القرآن، فأين البكاء؟ ".

وأخرج عبد الرزاق وابن أبي شيبة والبيهقي واللفظ له عن عَلقَمَةَ بنِ وَقَّاصٍ قال:" كان عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ ﷺ يَقرَأُ في العَتَمةِ بسورةِ يوسُفَ وأنا في مُؤَخَّرِ الصُّفوفِ، حتَّى إذا جاءَ ذِكرُ يوسُفَ سَمِعتُ نَشيجَه[1] في مُؤَخَّرِ الصَّفِّ ".

وأخرج البيهقي في" شعب الإيمان" وعبد الرزاق عن عبد الله بن شداد قال: سمعت نشيجَ عمرَ بنِ الخطابِ ﷺ في صلاةِ الصبحِ وهو يقرأُ من سورةِ يوسفَ وأنا في آخرِ الصفوفِ، يقرأُ: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾".

وأخرج البخاري من حديث عبد الله بن عمر-رضي الله عنهما- قال: لَمَّا اشْتَدَّ برَسولِ اللَّهِ ﷺ وجَعُهُ قيلَ له في الصَّلَاةِ، فَقَالَ: مُرُوا أبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بالنَّاسِ قَالَتْ عَائِشَةُ -رضي الله عنها-: إنَّ أبَا بَكْرٍ رَجُلٌ رَقِيقٌ، إذَا قَرَأَ غَلَبَهُ البُكَاءُ، قَالَ: مُرُوهُ فيُصَلِّي فَعَاوَدَتْهُ، قَالَ: مُرُوهُ فيُصَلِّي، إنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ.

١- النَّشيجُ: تَرديدُ البُكاءِ. (خلاصة الأحكام للنووي:١/ ٤٩٨).

- ***وفي رواية في الصحيحين من حديث عائشة-رضي الله عنها- قالت:*** " لمَّا ثَقُلَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ جَاءَ بلَالٌ يُؤذِنُهُ بالصَّلَاةِ، فَقالَ: مُرُوا أبَا بَكْرٍ أنْ يُصَلِّيَ بالنَّاسِ، فَقُلْتُ: يا رَسولَ اللَّهِ! إنَّ أبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أسِيفٌ[1] وإنَّه متَى ما يَقُمْ مَقَامَكَ لا يُسْمِعُ النَّاسَ، فلوْ أمَرْتَ عُمَرَ، فَقالَ:" مُرُوا أبَا بَكْرٍ يُصَلِّي بالنَّاسِ"، فَقُلْتُ لِحَفْصَةَ: قُولِي له: إنَّ أبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أسِيفٌ، وإنَّه متَى يَقُمْ مَقَامَكَ لا يُسْمِعُ النَّاسَ، فلوْ أمَرْتَ عُمَرَ، قالَ: إنَّكُنَّ لَأَنْتُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ، مُرُوا أبَا بَكْرٍ أنْ يُصَلِّيَ بالنَّاسِ...". الحديث.

وأخرج البخاري عن عَائِشَةَ-رضي الله عنها- زَوْجِ النبيِّ ﷺ قالَتْ: لَمْ أعْقِلْ أبَوَيَّ إلَّا وهُما يَدِينَانِ الدِّينَ، ولَمْ يَمُرَّ عَلَيْنَا يَوْمٌ إلَّا يَأْتِينَا فيه رَسولُ اللَّهِ ﷺ طَرَفَيِ النَّهَارِ: بُكْرَةً وعَشِيَّةً، ثُمَّ بَدَا لأبِي بَكْرٍ ﷺ، فَابْتَنَى مَسْجِدًا بفِنَاءِ دَارِهِ، فَكانَ يُصَلِّي فيه ويَقْرَأُ القُرْآنَ، فَيَقِفُ عليه نِسَاءُ المُشْرِكِينَ وأَبْنَاؤُهُمْ، يَعْجَبُونَ منه ويَنْظُرُونَ إلَيْهِ، وكانَ أبو بَكْرٍ ﷺ رَجُلًا بَكَّاءً، لا يَمْلِكُ عَيْنَيْهِ إذَا قَرَأَ القُرْآنَ، فأفْزَعَ ذلكَ أشْرَافَ قُرَيْشٍ مِنَ المُشْرِكِينَ ".

وروى ابن أبي الدنيا بإسناده عن القاسم بن محمد بن أبي بكر-رضي الله عنهم- قال: " كنت غدوت يومًا فإذا عائشة قائمة تسبح[2] وتبكي، وتقرأ: ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾(الطور:٢٧) وتدعو وتبكي، وترددها، فقمت حتى مللت القيام، فذهبت إلى السوق لحاجتي، ثم رجعت فإذا هي قائمة كما هي، تصلي وتبكي". (فتح الباري).

وعن مسروق-رحمه الله- قال: قال رجل من أهل مكة: هذا مقام تميم الداري، لقد رأيته ذات ليلة حتى أصبح أو قُرب أن يُصبح، يقرأ آية من كتاب الله، ويركع، ويسجد، ويبكي: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (الجاثية:٢١).

(الإصابة لابن حجر:١/ ١٨٤" وصحح إسناده إلى مسروق)

وقال بشير-رحمه الله-: " بِتُّ عند الربيع بن خثيم ذات ليلة، فقام يصلي، فمر بهذه الآية: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (الجاثية:٢١)، فمكث ليلته حتى أصبح، ما جاوز هذه الآية إلى غيرها ببكاء شديد". (حلية الأولياء:٢/١١٢)

وقال إبراهيم بن الأشعث-رحمه الله-: كثيرًا ما رأيت الفضيل بن عياض يردد من أول الليل إلى آخره هذه الآية ونظيرها ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (الجاثية:٢١)، ثم يقول:" ليت شعري! من أي الفريقين أنت؟". (الجامع لأحكام القرآن:١٦/١٦٦).

قال القرطبي-رحمه الله-: " وكانت هذه الآية تسمى مَبْكاةَ العابدين، لأنها محكمة ". (المصدر السابق)

١- أَسِيفٌ: أي رجُلٌ رقيق القلب، كثيرُ البُكاءِ والحزنِ في الصَّلاةِ.
٢- تسبح: يعني: تصلي.

وعن الحسن-رحمه الله- قال: " لم يزل الناس على ذلك، يبكون عند الذكر وقراءة القرآن".

(الرقة والبكاء لابن أبي الدنيا).

قال الحسن أيضًا :" والله ما أصبح اليوم عبد يتلو القرآن يؤمن به إلا كثر حزنه وقل فرحه، وكثر بكاؤه، وقلَّ ضحكه، وكثر نصبه وشغله، وقلت راحته وبطالته ".

وروى خالد بن مَعْدَان عن كعب الأحبار قال: " لَأن أبكيَ من خشية الله أحب إليَّ من أن أتصدق بوزني ذهبًا". (سير أعلام النبلاء:٣/٤٩٠)

وجاء في مصنف ابن أبي شيبة وحلية الأولياء عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: " ينبغي لحامل القرآن أن يُعرف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس يفطرون، وبحزنه إذا الناس يفرحون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخلطون، وبخشوعه إذا الناس يختالون، وينبغي لحامل القرآن أن يكون باكيًا محزونا، حكيما حليمًا، عليمًا سكيتًا، ولا ينبغي لحامل القرآن أن يكون جافيًا، ولا غافلًا، ولا صَخَّابًا ولا صيَّاحًا، ولا حديدًا ".

تنبيه: لا ينبغي تعمد رفع الصوت بالبكاء في الصلاة أو عند قراءة القرآن:

فمن الناس مَن يتكلَّف البكاء ويفتعله، ويتعمَّد إظهاره، وهذا كله خلاف نهج النبي ﷺ وهديه، فقد كان من هدي النبي ﷺ أنه كان يكتمه فيسمع لصدره أزيز.

كما مر بنا في الحديث الذي أخرجه أبو داود عن عبد الله بن الشخير ﷺ قال: " **أتيت النبي ﷺ وهو يصلي، ولجوفه أزيز كأزيز المرجل** ".

وهذا حال النبي ﷺ في البكاء، لا كما يفعله بعض الأئمة من الصراخ والصياح والعويل.

وانظر لحال السلف عند البكاء[1]:

يقول محمد بن واسع-رحمه الله-: " أدركتُ رجالًا، كان الرجل يكون رأسه مع رأس امرأته على وسادة واحدة، قد بلَّ ما تحت خدِّه من دموعه لا تشعر به امرأته، ولقد أدركتُ رجالًا يقوم أحدهم في الصف، فتسيل دموعه على خدِّه ولا يشعر به الذي إلى جنبه ".

ويقول الحسن البصري-رحمه الله-: " إن الرجل ليجلس المجلس؛ فتجيئه عبرته فيردها، فإذا خشي أن تسبقه قام ". (الزهد للإمام أحمد ص:٢٦٢)

وها هو أيوب السختياني-رحمه الله-:كان إذا وعظ فرقَّ، فَرَقَ (خاف) من الرياء فيمسح وجهه، ويقول: ما أشدَّ الزكام ". (المدهش لابن الجوزي)

١- عودوا إلى خير الهدي " لفضيلة الشيخ محمد إسماعيل المقدم- حفظه الله-.

فرحمة الله عليهم، أصلحوا حالهم مع الله، فأصلح الله أحوالهم مع الناس، لم يطلبوا الشهرة لكن أبى الله إلا أن يشتهروا، ويُذْكَرُوا، وتَطِيب المجالس بذكرهم.

فها هو محمد بن أسلم الطوسي-رحمه الله-:" كان يقرأ القرآن فيبكي، فإذا أراد أن يخرج، غسل وجهه حتى لا يُرى عليه أثر البكاء، فلما أصلح سرَّه وخاف الشهرة، انظر ماذا كان عند موته؟ صلَّى عليه عند موته ألف ألف من الناس، وقيل: ألف ألف ومائة ألف من الناس.

تنبيه مهم: **مَن استطاع أن يكتم بكاءه فلم يفعل وأظهره، وقع في الرياء.**

قال ابن الجوزي-رحمه الله- في" كتابه تلبيس إبليس ص:٢٠٣":" وقد لبَّس إبليس على قوم من المتعبدين، وكانوا يبكون والناس حولهم وهذا قد يقع عليه، فلا يمكن دفعه، فمن قدر على ستره، فأظهره فقد تعرض للرياء ".

يقول محمد شومان الرملي في" كتابه دموع القراء ص: ٨-١١":" البكاء عند سماع القرآن وتلاوته ليس مقصودًا لذاته، ولا هو المراد في الأصل، إنما المقصود حضور القلب وتدبُّره لما يتلو ويسمع، فيُحْدِث له ذلك إيمانًا ويقينًا، ورغبة ورهبة، ومحبة وشوقًا، وتوجب له هذه الأمور خضوعًا وخشوعًا، وذلًا وانكسارًا، يصاحب ذلك رقة وبكاء. فهذا البكاء يُمْدَح ويُثْنى على صاحبه، لا البكاء المجرَّد عن السبب الذي ذكرتُ، العاري عن الخشوع الذي وصفت، ولا البكاء المتكلف أو الذي يراد به وجه الخلق.

ولقد رأيت كثيرًا من القرَّاء خاصة من أئمة المساجد يتصنعون البكاء، ويتكلفونه إلى الغاية، فتجد الواحد منهم يستجلب البكاء ويستخرجه من رأسه قَسْرًا، ضد ما كان عليه السلف-رحمهم الله- يكظمونه ويردُّونه حيث استطاعوا. وينبغي للقارئ إذا كان مع الناس أن يخفض بكاءه ما استطاع، وإذا كان وحده فليبك ما شاء، لكن لا يُحدِّث به أحدًا بعد. ولقد رأيت من الأئمة مَن يتجهز للبكاء قبل الصلاة، ورأيت مَن يقدِّم الإمام إلى الصلاة، ويقول له: ابكِ يا شيخ، ورأيت مَن يبكي أثناء الفاتحة في الركعة الأولى، بل إن بعضهم لتخرج منه تكبيرة الإحرام مخنوقة بالبكاء. ما هكذا كان السلف، فقد كانوا يبكون في مواضع البكاء، ويبكون غلبة لا تصنُّعًا، ويبكون لمِا تحدثه الآيات في قلوبهم من الخشوع والرقة، لا يبكون رياء وسمعة. ولقد رأيت من لا تكاد تفهم قراءته لكثرة بكائه، ويبكي إذا قرأ آيات الوعيد، ويبكي إذا قرأ آيات الرجاء، ويبكي إذا قرأ آيات الطلاق، ويبكي إذا قرأ آيات الميراث[1]. وصلَّيتُ مرة خلف بعضهم فناح طوال الصلاة، وبعض من خلفه يبكون، ويتكلمون بالدعاء والنياحة، والتأوهات في الصلاة وأثناء القراءة!!! ويخرجون المناديل من جيوبهم، ويمسحون وجوههم، ويتحركون هكذا وهكذا....". اهـ بتصرف

١- لا عجب في أن يبكي القارئ من كل آي القرآن الكريم خشوعًا وتعظيمًا لأنه كلام الله تعالى، وإنما النكير على المرائي ببكائه أيًّا كان موضوع الآيات الكريمة. (أفاده الشيخ محمد إسماعيل المقدم-حفظه الله-)

الأدب التاسع والعشرون: العَمَلُ بالقرآنِ الكريم وعَدَمُ مُخالَفتِه:

مِن آكَدِ الآدابِ لتالي القُرآنِ: أن يَعمَلَ بما فيه، ويُقيمَ حُدودَه.

قال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ(١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ(١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ (القيامة:١٦-١٩)

وقال تعالى: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: ٣٨)

وقال تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ (سورة الأعراف: ٣)

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام: ١٥٣)

وقال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (سورة الأنعام: ١٥٥)

وقال تعالى: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ (سورة طه: ١٢٣)

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (الزمر: ١٨)

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (الأنفال: ٢٤)

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الجاثية: ١٨)

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ (البقرة: ١٢١).

وقَولُه تعالى: ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ أي: يَتَّبِعونَه حَقَّ اتِّباعِه، ويَعمَلونَ به حَقَّ عَمَلِه.

(جامع البيان للطبري:٢/ ٤٨٧) (اقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي ص: ٧٦).

وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (الجمعة: ٥).

قال ابنُ الجَوزيِّ-رحمه الله-: "ضَرب لليَهودِ الذينَ تَرَكوا العَمَلَ بالتَّوراةِ مَثَلًا، فقال عَزَّ وجَلَّ: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ﴾ أي: كُلِّفوا العَمَلَ بما فيها ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ أي: لم يَعمَلوا بموجِبِها، ولم يُؤَدُّوا حَقَّها ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ وهيَ جَمعُ سِفرٍ. والسِّفرُ: الكِتابُ، فشَبَّهَهم بالحِمارِ لا يَعقِلُ ما يَحمِلُ؛ إذ لم يَنتَفِعوا بما في التَّوراةِ، وهيَ دالَّةٌ على الإيمانِ بمُحَمَّدٍ ﷺ. وهذا المَثَلُ يَلحَقُ مَن لم يَعمَلْ بالقُرآنِ ولم يَفهَمْ مَعانيَه ".

(زاد المسير:٤/ ٢٨١)

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ(٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (الصف: ٢،٣).

أخرج البخاري واللفظ له ومسلم من حديث سَمرة بن جُندُب ﷺ قال: " كان النَّبيُّ ﷺ إذا صَلَّى صَلاةً أقبَلَ علينا بوَجهِه، فقال: مَن رَأى مِنكُمُ اللَّيلةَ رُؤيا؟ قال: فإن رَأى أحَدٌ قَصَّها فيَقولُ ما شاءَ اللهُ، فسَألَنا يَومًا فقال: هَل رَأى أحَدٌ مِنكُم رُؤيا؟ قُلنا: لا، قال: لكِنِّي رَأيتُ اللَّيلةَ رَجُلينِ أتَياني فأخَذا بيَديَّ، فأخرَجاني إلى الأرضِ المُقدَّسةِ... فانطَلَقنا حتَّى أتَينا على رَجُلٍ مُضطَجِعٍ على قَفاه ورَجُلٌ قائِمٌ على رَأسِه بفِهرٍ -أو صَخرةٍ- فيَشدَخُ به رَأسَه، فإذا ضَرَبَه تَدَهدَهَ[1] الحَجَرُ، فانطَلَقَ إليه ليَأخُذَه، فلا يَرجِعُ إلى هذا حتَّى يَلتَئِمَ رَأسُه، وعاد رَأسُه كَما هو، فعادَ إليه فضَرَبَه، قُلتُ: مَن هذا؟ قالا: انطَلِقْ، فانطَلَقنا.." الحَديث، وفي آخِرِه قال المَلَكانِ في تَأويلِ الرُّؤيا:" والذي رَأيتَه يُشدَخُ رَأسُه فرَجُلٌ عَلَّمَه اللَّهُ القُرآنَ، فنامَ عنه باللَّيلِ، ولم يَعمَلْ فيه بالنَّهارِ، يُفعَلُ به إلى يَومِ القيامةِ ".

قال القاري-رحمه الله-:" وأمَّا "الذي رَأيتَه يُشدَخُ رَأسُه فرَجُلٌ عَلَّمه اللَّهُ القُرآنَ" أي: وفَّقهَ لتَعَلُّمِه" فنامَ عنه باللَّيلِ" أي: لم يَكُنْ يَقرَأُ القُرآنَ في اللَّيلِ، وإنَّما خُصَّ به؛ لأنَّه كَما قال تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا(٦) إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾ (المزمل: ٦،٧)،" ولم يَعمَلْ بما فيه بالنَّهارِ" أي: ومِن جُملةِ ما فيه قَولُه تعالى: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾ (العنكبوت: ٤٥) أي: اقرَأْ واتَّبِعْ،" يُفعَلُ به ما رَأيتَ إلى يَومِ القيامةِ". وجُملةُ الكَلامِ أنَّه مَعَ ما أُعطيَ مِنَ النِّعَمِ الجزيلةِ، وهيَ عِلمُ القُرآنِ، كان غافِلًا عن تَأويلاتِه، ورُبَّما جَرَّ إلى نِسيانِه، وهو مِنَ الكَبائِرِ، ولم يَكُنْ عامِلًا بأوامِرِه ونَواهيه، مَعَ أنَّه هو المُرادُ مِن نُزولِ القُرآنِ؛ ولذا ورَدَ مَعناه: إنَّ مَن عَمِلَ بالقُرآنِ فكَأنَّه دائِمًا يَتلو القُرآنَ وإن لم يَقرَأْ، ومَن قَرَأَ القُرآنَ دائِمًا ولم يَعمَلْ بما فيه فكَأنَّه لم يَقرَأْه أبَدًا ". اهـ

وقال الطِّيبيُّ-رحمه الله-:" قَولُه:" فنامَ عنه" أي: أعرَضَ عنه، و"عن" هنا كَما في قَولِه تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ (الماعون:٥) أي: ساهونَ سَهوَ تَركٍ لها، وقِلَّةِ التِفاتٍ إليها، وذلك فِعلُ المُنافِقينَ والفسَقةِ. قُلتُ: ولذا قال بَعضُ الصَّالحينَ: الحَمدُ للهِ حَيثُ ما قال: في صَلاتِهم ساهونَ، قال: فمَعنى" نامَ عنه باللَّيلِ" أنَّه لم يَتلُه إذا كان باللَّيلِ، ولم يَتَفكَّرْ فيما يَجِبُ عليه أن يَأتيَ به ويَذَرَ، مِنَ الأوامِرِ والنَّواهي، مِثلُ المُنافِقينَ والفَسَقةِ، فإذا كان حالُه باللَّيلِ هذا فلا يَقومُ به، فيَعمَلُ بالنَّهارِ بما فيه، **ويُؤَيِّدُ هذا التَّأويلَ ما جاءَ في رِوايةٍ أُخرى للبُخاريِّ:**" أمَّا الرَّجُلُ الذي يُثلَغُ رَأسُه بالحَجَرِ فإنَّه الرَّجُلُ الذي يَأخُذُ القُرآنَ فيَرفُضُه ويَنامُ عنِ الصَّلاةِ المَكتوبةِ"، وأمَّا مَن نامَ مِن غَيرِ أن يَتَجافى عنه لتَقصيرٍ أو عَجزٍ فهو خارِجٌ مِن هذا الوعيدِ". اهـ. (مرقاة المفاتيح:٧/ ٢٩٢٧) (الكاشف عن حقائق السنن للطيبي:٩/ ٣٠١٠).

١- التَّدَهدُهُ: التَّدَحرُجُ. (جامع الأصول لابن الأثير:٢/ ٥٣٥).

أخرج البخاري ومسلم واللفظ له من حديث أُسامةَ بنِ زَيدٍ رَضِيَ اللهُ عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **" يُؤتى بالرَّجُلِ يومَ القيامةِ فيُلقى في النَّارِ فتَندَلِقُ أقتابُ[1] بَطنِه، فيَدورُ بها كَما يَدورُ الحِمارُ بالرَّحى! فيَجتَمِعُ إليه أهلُ النَّارِ فيَقولونَ: يا فُلانُ، ما لك؟! ألم تَكُنْ تَأمُرُ بالمَعروفِ وتَنهى عنِ المُنكَرِ؟! فيَقولُ: بَلى، قد كُنتُ آمُرُ بالمَعروفِ ولا آتيه، وأنهى عنِ المُنكَرِ وآتيه ".**

ويُروى عن أَنَسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه أنه قال: **" رُبَّ تالٍ للقُرآنِ والقُرآنُ يَلعنُه ".** (إحياء علوم الدين للغزالي:١/ ٢٧٤)

قال ابنُ باديسَ-رحمه الله-: " **أمَّا قَولُ أنَسٍ رضي الله عنه:" رُبَّ تالٍ للقُرآنِ والقُرآنُ يَلعنُه"**، فليسَ مَعناه أنَّ القُرآنَ يَلعنُه لأجلِ تِلاوتِه، وكَيف وتِلاوتُه عِبادةٌ؟! وإنَّما مَعناه: أنَّه رُبَّما تَكونُ له مُخالفةٌ لبَعضِ أوامِرِ القُرآنِ أو نَواهيه مِن كَذِبٍ أو ظُلمٍ مَثَلًا، فيَكونُ داخِلًا في عُمومِ لعنِه للظَّالمينَ والكاذِبينَ، فخَرَجَ هذا الكَلامُ مَخرَجَ التَّقبيحِ لمُخالفةِ القُرآنِ مَعَ تِلاوتِه؛ بَعثًا للتَّالي على سُرعةِ الاتِّعاظِ بآياتِ القُرآنِ، وتَعجيلِ المَتابِ، لا مَخرَجَ الأمرِ بتَركِ التِّلاوةِ والانصِرافِ عنها ". (مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ص: ٣٨).

وأخرج الترمذي والدارمي وأبو يعلى عن أبي بَرْزَةَ الأسلَميِّ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: **" لا تزولُ قَدَما عبدٍ يومَ القيامةِ حتَّى يسأَلَ عن عُمُرِه فيما أفناه، وعن عِلمِه فيمَ فَعَل، وعن مالِه مِن أين اكتسَبه وفيمَ أنفَقَه، وعن جِسمِه فيمَ أبلاه ".** (صحيح سنن الترمذي:٢٤١٧)

وأخرج الإمام أحمد واللفظ له وأبو يعلى من حديث عائِشةَ-رضي الله عنها- **أنها سُئِلَتْ عن خُلُقِ رسولِ اللهِ ﷺ، فقالَتْ: كان خُلُقُه القُرآنَ ".** (صحيح الجامع: ٤٨١١)

وقول عائشة رضي الله عنها" كان خُلقُه القرآنَ"، والخُلقُ هو الطَّبعُ، وقيل: الدِّينُ، والمعنى: كانتْ أخلاقُه مُتَّصفةً بالكمالِ الذي أخبَرَ به القرآنُ في كلِّ خُلقٍ، ويأتمِرُ بما أمَرهُ اللهُ تعالى فيه، ويَنْتهي عمَّا نهى اللهُ عنه قولًا وفِعلًا، ووعْدِه ووعيدِه، إلى غيرِ ذلك؛ فكان خُلقُه جَميعَ ما حصَلَ في القرآنِ مِن كلِّ ما استحْسَنَه وأثْنى عليه ودعا إليه، فقد تحلَّى به، وكلُّ ما اسْتَهْجَنه، ونهى عنه، تجنَّبه وتخلَّى عنه. (الدرر السنية)

قال النووي-رحمه الله- :" معناه: العمل به، والوقوف عند حدوده، والتأدب بآدابه، والاعتبار بأمثاله وقصصه، وتدبره، وحسن تلاوته ". (شرح مسلم:٣/٢٦٨).

وقال ابن رجب-رحمه الله- :" يعني أنه كان يتأدب بآدابه، ويتخلق بأخلاقه، فما مدحه القرآن كان فيه رضاه، وما ذمه القرآن كان فيه سخطه ". (جامع العلوم والحكم:١/١٤٨).

قال المناوي-رحمه الله- في" فيض القدير:٥/١٧٠": " وقول عائشة-رضي الله عنها-" **كان خُلقُه القرآنَ**": أي ما دل عليه القرآن من أوامره ونواهيه، ووعده ووعيده إلى غير ذلك ".

١- الأقتابُ: الأمعاءُ، والانْدِلاقُ: خُروجُ الشَّيءِ مِن مَكانِه سَلِسًا سَهلًا. (غريب الحديث للقاسم بن سلام:٣/ ٣٨٩).

وقال القاضي-رحمه الله-: أي خلقه كان جميع ما حصل في القرآن، فإنَّ كُلَّ ما استحسنه وأثنى عليه ودعا إليه فقد تحَلَّى به، وكل ما استهجنه ونهى عنه تَجَنَّبَه وتَخَلَّى عنه، فكان القرآن بيان خلقه... ". اهـ

وقال في الديباج: " معناه العمل به، والوقوف عند حدوده، والتأديب بآدابه، والاعتبار بأمثاله وقصصه، وتدبيره وحسن تلاوته ".

وأخرج ابن حبان والبيهقي في" شعب الإيمان" من حديث جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" القرآنُ شافعٌ مشفَّعٌ، وماحِلٌ مصدَّقٌ، من جَعلَه أمامَه قادَه إلى الجنَّةِ، ومن جعلَه خَلفَ ظهرِه ساقَه إلى النَّارِ".**

(صحيح الترغيب والترهيب: ١٤٢٣)

يقولُ النَّبيُّ ﷺ:" **القرآنُ شافعٌ**"، أي: لصاحبِه وقارئِه،" **مُشفَّعٌ**"، أي: مَقبولُ الشَّفاعةِ،" **وماحِلٌ مُصدَّقٌ**"، أي: شاهدٌ مُصدَّقٌ عندَ اللهِ،" **مَن جعَلَه أمامَه**"؛ بأنْ نفَّذَ أوامَره وانتَهى عن نواهيهِ،" **قادَه إلى الجنَّةِ**"؛ بتَسهيلِ الطريقِ إليها،" **ومَن جعَلَه خلْفَ ظَهرِه**"؛ بأنْ خالَفَ أمْرَه ونَهيَه،" **ساقه إلى النارِ**"، والمعنى: أنَّ مَن اتَّبعَ القُرآنَ وعمِلَ بما فيه، فسَيكونُ القرآنُ شافعًا له، مَقبولَ الشَّفاعةِ عندَ اللهِ في العفْوِ عن خَطاياهُ، ومَن ترَكَ العمَلَ به صدَقَ عليه القُرآنُ فيما يُرفَعُ إلى اللهِ مِن ذُنوبِ العبدِ، ومَن شهِدَ عليه القرآنُ بالتَّقصيرِ والتَّضييعِ فهو في النارِ.

قال القرطبي-رحمه الله-: " ومن أوتي علم القرآن فلم ينتفع، وزجرته نواهيه فلم يرتدع، وارتكب من الإثم قبيحًا، ومن الجرائم فضوحًا؛ كان القرآن حجة عليه، وخصما لديه، وقد قالﷺ: القرآن حجة لك أو عليك".

(الجامع الأحكام القرآن:٢/١)

ويقول ابن الجوزي-رحمه الله-عندما تكلم في كتابه "تلبيس إبليس" عند ذكر تلبيسه على القرّاء فقال: " فمن ذلك أن أحدهم يشتغل بالقراءات الشاذة وتحصيلها، فيفني أكثر عمره في جمعها، وتصنيفها، والإقراء بها، ويشغله ذلك عن معرفة الفرائض والواجبات، فربما رأيت إمام مسجد يتصدَّى للإقراء، ولا يعرف ما يفسد الصلاة، وربما حمله حبّ التصدُّر حتى لا يرى بعين الجهل، على أن يجلس بين يدي العلماء ويأخذ عنهم العلم، ولو تفكروا لعلموا أن المراد حفظ القرآن، وتقويم ألفاظه، ثم فهمه، ثم العمل به، ثم الإقبال على ما يصلح النفس، ويُطهِّر أخلاقها، ثم التشاغل بالمهم من علوم الشرع، ومن الغبن الفاحش تضيِّع الزمان فيما غيره الأهم ".

وقال نصر بن يحيى بن أبي كثير-رحمه الله-: " إذا التبست عليك الطرق واشتبهت عليك الأمور، وصرت في حيرة من أمرك، وضاق بها صدرك، فارجع إلى القرآن الذي لا حيرة فيه، وقف على دلائله من الترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، وإلى ما ندب الله إليه المؤمنين من الطاعة وترك المعصية، فإنك تخرج من حيرتك، وترجع عن جهالتك، وتأنس بعد وحشتك، وتقوى بعد ضعفك". **(العزلة لابن أبي الدنيا ص:٨٠)**

وكان السلف أحرص الناس على تطبيق ما تعلموه في القرآن:

وأخرج الطبري في" التفسير" عن ابنِ مَسعودٍ ﷺ قال: **" كان الرَّجُلُ مِنَّا إذا تَعَلَّمَ عَشرَ آياتٍ لم يُجاوِزْهنَّ حتَّى يَعرِفَ مَعانيَهنَّ والعَمَلَ بهنَّ ".** (وصحح إسناده شعيب الأرناؤوط في تخريج شرح مشكل الآثار:٤/٨٣).

وأخرج ابن سعد في" الطبقات الكبرى" عن أبي عَبدِ الرَّحمَنِ السُّلَميِّ قال: " إنَّا أخَذنا هذا القُرآنَ عن قَومٍ أخبَرونا أنَّهم كانوا إذا تَعَلَّموا عَشرَ آياتٍ لم يُجاوِزوهنَّ إلى العَشرِ الأُخَرِ حتَّى يَعلَموا ما فيهنَّ، فكُنَّا نَتَعَلَّمُ القُرآنَ والعَمَلَ به، وإنَّه سيَرِثُ القُرآنَ بَعدَنا قَومٌ ليَشرَبونَه شُربَ الماءِ لا يُجاوِزُ تراقيَهم، بَل لا يُجاوِزُ هاهنا – ووَضَع يَدَه على الحَلقِ–". (قوى إسناده شعيب الأرناؤوط في تخريج شرح مشكل الآثار:٤/٨٣).

وأخرجه ابن أبي شيبة وأحمد وابن جرير بلفظ: " حدَّثنا الذين كانوا يُقرِئوننا القُرآنَ كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما، أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات، لم يجاوزوها، حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا ".

قال ابنُ عَطيَّة–رحمه الله–: " قال الحَسَنُ البَصريُّ: إنَّكُمُ اتَّخَذتُم قِراءةَ القُرآنِ مَراحِلَ، وجَعَلتُمُ اللَّيلَ جَمَلًا تَركَبونَه، فتَقطَعونَ به المَراحِلَ، وإنَّ مَن كان قَبلَكُم رَأوه رَسائِلَ إليهم مِن رَبِّهم، فكانوا يَتَدَبَّرونَها باللَّيلِ، ويُنَفِّذونَها بالنَّهارِ. **وكان ابنُ مَسعودٍ ﷺ يَقولُ:" أُنزِلَ عليهمُ القُرآنُ ليَعمَلوا به، فاتَّخَذوا دَرسَه عَمَلًا، إنَّ أحَدَهم ليَتلو القُرآنَ مِن فاتِحَتِه إلى خاتِمَتِه ما يُسقِطُ مِنه حَرفًا، وقد أسقَطَ العَمَلَ به! ".**

(المحرر الوجيز:١/ ٣٩)

وقال الحَسَنُ–رحمه الله–: " قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ (سورة ص: ٢٩)، أمَا واللَّهِ ما هو بحِفظِ حُروفِه وإضاعةِ حُدودِه، حتَّى إنَّ أحَدَهم ليَقولُ: لقد قَرَأتُ القُرآنَ كُلَّه فما أسقَطتُ مِنه حَرفًا، وقد واللَّهِ أسقَطَه كُلَّه، ما يُرى له القُرآنُ في خُلُقٍ ولا عَمَلٍ، حتَّى إنَّ أحَدَهم ليَقولُ: إنِّي لأقرَأُ السُّورةَ في نَفَسٍ، واللهِ ما هؤلاء بالقُرَّاءِ ولا العُلماءِ ولا الحُكَماءِ ولا الوَرَعةِ! متى كانت القُرَّاءُ مِثلَ هذا؟ لا كَثَّرَ اللَّهُ في النَّاسِ مِثلَ هؤلاء ". اهـ باختصار (أخرجه ابن المبارك في الزهد:٧٩٣) (وعبد الرزاق:٥٩٨٤)

وقال الحسن البصري أيضًا–رحمه الله–: " أُنزِل القرآن ليُعْمل به، فاتخذ الناس تلاوته عملًا – يعني أنهم اقتصروا على التلاوة وتركوا العمل به– ".

وقال الفُضَيلُ–رحمه الله–: " إنَّما نَزَل القُرآنُ ليُعمَلَ به، فاتَّخَذَ النَّاسُ قِراءَتَه عَمَلًا، قال: قيل: كَيف العَمَلُ به؟ قال: أي: ليُحِلُّوا حَلالَه ويُحَرِّموا حَرامَه، ويَأتَمِروا بأوامِرِه، ويَنتَهوا عن نَواهيه، ويَقِفوا عِندَ عَجائِبه".

(اقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي ص: ٧٦)

الأدب الثلاثون: يستحب الدُّعاءُ عند خَتمِ القُرآنِ خارِجَ الصَّلاة:

لم يثبت في مطلق الدعاء لختم القرآن شيء مرفوع إلى النبي ﷺ، لكنه صح من فعل أنس بن مالك ﷺ، وتبعه عليه جماعة من التابعين. ***فقد أخرج ابن المبارك في "الزهد" وابن أبي شيبة في "مصنفه" والدارمي في "سننه" عن ثابتٍ البُناني وقتادة وابن عطية وغيرهم:*** **" أن أنس بن مالك ﷺ كان إذا ختم القرآن جمع أهله وولده، فدعا لهم".**

وقال الحكم بن عتيبة-رحمه الله-: كان مجاهد، وعبدة بن أبي لبابة، وناسٌ؛ يعرضون المصاحف، فلما كان اليوم الذي أرادوا أن يختِموا أرسلوا إليَّ، وإلى سلمة بن كهيل، فقالوا: إنا كنا نعرض المصاحف، فأردنا أن نختِم اليوم، فأحببنا أن تشهدونا، فإنه كان يقال: "إذا خُتم القرآن نزلت الرحمة عند خاتمته، أو حضرت الرحمة عند خاتمته ". **(رواه ابن أبي شيبة في "مصنفه" والدارمي وغيرهما، وأشار النووي وابن حجر إلى صحة إسناده موقوفًا)**

وقال مجاهد بن جبر-رحمه الله-: " الرحمة تنزل عند ختم القرآن ". **(رواه ابن أبي شيبة)**

وقال ابن القيم-رحمه الله-: " وقد نص الإمام أحمد-رحمه الله- على الدعاء عَقِيبَ الختمة، فقال في رواية أبي الحارث:" كان أنس ﷺ إذا ختم القرآن جمع أهله وولده". وقال في رواية يوسف بن موسى، وقد سئل عن الرجل يختم القرآن فيجتمع إليه قوم فيدعون، قال:" نعم، رأيت معمرًا يفعله إذا ختم". وقال في رواية حرب: أستحب إذا ختم الرجل القرآن أن يجمع أهله ويدعو". اهـ **(جلاء الأفهام ص:٢٨٨)**.

وعلق الألباني-رحمه الله-على قول الإمام ابن الجوزي-رحمه الله-: " فإني لما رُزِقْتُ شرفَ النكاح، وطلب الأولاد، ختمت ختمة [1] ". ***فقال الألباني-رحمه الله-:*** " يشير بذلك إلى أن الدعاء بعد ختم القرآن ترجى استجابته، وقد جاء في ذلك آثار كثيرة عن السلف الصالح، منها ما رواه ثابت البُناني عن أنس ﷺ... فذكره. أخرجه الدارمي بسند صحيح ". اهـ

وقال صالح بن أحمد بن حنبل-رحمه الله-: " كان أبي يختم من جمعة إلى جمعة، فإذا ختم يدعو ونُؤَمِّن". **(سير أعلام النبلاء:١١/ ٢٧٦)**.

تنبيه:لا يُشرَعُ الدعاءُ عندَ ختْمِ القرآنِ في الصَّلاةِ. وهذا مذهبُ المالِكيَّة، وهو قولٌ للحنفيَّة، واختاره الألبانيُّ، وابنُ عُثيمين. **(المدخل لابن الحاج:٢/٢٩٩) (الشرح الممتع لابن عثيمين:٤/٤٢)**.

وذلك لأنَّ دُعاءَ ختْمِ القرآنِ في الصَّلاةِ، من إمامٍ أو منفردٍ، قبلَ الركوعِ أو بعدَه، في "التراويح" أو غيرِها: لا يُعرَفُ ورودُ شيءٍ فيه أصلًا عن النبيِّ ﷺ، ولا عن أحدٍ من صحابتِه مُسندًا. والقاعدةُ: أنَّ العباداتِ توقيفيَّةٌ لا تثبُتُ إلَّا بنَصٍّ. **(جزء في مرويات دعاء ختم القرآن لبكر أبو زيد ص: ٢٩٠)(الشرح الممتع لابن عثيمين:٤/٤٢)**.

١- **(لفتة الكبد ص:٧)**.

الأدب الحادي والثلاثون: عدم التباهي أمام الناس بختم القرآن:

وهذا يتنافى مع الإخلاص، بل ربما يجمع أحدهم الناس ليدعو بهم لأنه ختم القرآن، وهذا فيه ما فيه من إظهار العمل، وهذا على خلاف ما كان عليه السلف.

قال ابن الجوزي-رحمه الله- كما في" تلبيس إبليس": " ومن أعجب ما رأيت فيهم أن رجلًا كان يُصلِّي بالناس صلاة الصبح يوم الجمعة، ثم يلتفت فيقرأ المعوذتين، ويدعو بدعاء الختمة؛ ليُعلم الناس أني قد ختمت الختمة، وما هذه طريقة السلف، فإن السلف كانوا يسترون عبادتهم، وكان عمل الربيع بن خثيم كله سرًا، فربما دخل عليه الداخل وقد نشر المصحف فيغطيه بثوبه، وكان أحمد بن حنبل يقرأ القرآن كثيرًا ولا يُدْرَى متى يختم ". اهـ

وصدق إبراهيم التيمي-رحمه الله- حيث يقول: " المخلص مَن يكتم حسناته كما يكتم سيئاته ".

الأدب الثاني والثلاثون: يستحب الاجتماعُ على تلاوةِ القرآنِ ومُدارَستِه:

أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " ما اجتَمَعَ قَومٌ في بَيتٍ مِن بُيوتِ اللهِ يَتْلونَ كِتابَ اللهِ ويَتَدارَسونَه بَينَهم، إلَّا نَزَلت عليهمُ السَّكينةُ، وغَشيَتهمُ الرَّحمةُ، وحَفَّتهمُ المَلائِكةُ، وذَكَرَهمُ اللهُ فيمن عِندَه ".

الأدب الثالث والثلاثون: أن يتلقى القرآن من المشايخ المشهود لهم بالإتقان:

وقد كان رسول الله ﷺ يوصي أصحابه أن يأخذوا القرآن من أشخاص معينة، لأنَّهم كانوا أكثَرَ ضَبطًا له، وأتقَنَ لأدائِه، أو لأنَّهم تَفَرَّغوا لأخْذِه منه مُشافَهةً، وتَصدَّوْا لأدائِه مِن بعْدِه؛ فلذلك ندَبَ إلى الأخذِ عنهم، لا أنَّه لم يَجمَعْه غيرُهم، فقد جمع كثير من الصحابة القرآن في صدورهم.

فقد أخرج البخاري من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:"... استَقرِئوا القُرآنَ مِن أربَعةٍ؛ مِن عبدِ اللهِ بنِ مَسعودٍ، وسالِمٍ مَولى أبي حُذَيفةَ، وأُبَيِّ بنِ كَعبٍ، ومُعاذِ بنِ جَبَلٍ ".

وأخرجه البزار والحاكم عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " خذُوا القرآنَ من أربعةٍ أبيِّ بنِ كعبٍ وعبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ ومعاذِ بنِ جبلٍ وسالِمٍ مولى أبي حذيفةَ ".

الأدب الرابع والثلاثون: الحرص على حفظِ القرآنِ بقدر المستطاع:

حِفظُ القُرآنِ الكَريمِ مِن أجَلِّ القُرُباتِ وأعظَمِ الطَّاعاتِ إذا خَلصَت فيه النِّيَّةُ لرَبِّ الأرضِ والسَّمَواتِ.

أخرج الإمام أحمد وابن ماجه واللَّفظُ له من حديث أنَسِ بنِ مالكٍ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " إنَّ للهِ أهلينَ مِنَ النَّاسِ، قالوا: يا رَسولَ اللهِ، مَن هم؟ قال: هم أهلُ القُرآنِ، أهلُ اللهِ وخاصَّتُه ".

(صحيح سنن ابن ماجه:٢١٥)

أخرج الإمام مسلم من حديث عائشةَ رَضِيَ اللهُ عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: " الماهِرُ بالقُرآنِ مَعَ السَّفَرةِ[1] الكِرامِ البَرَرةِ، والذي يَقرأُ القُرآنَ ويَتَتَعتَعُ فيه، وهو عليه شاقٌّ، له أجرانِ ".

- وفي روايةٍ: " مَثَلُ الذي يَقرأُ القُرآنَ وهو حافِظٌ له مَعَ السَّفَرةِ الكِرامِ البَرَرةِ، ومَثَلُ الذي يَقرأُ وهو يتعاهَدُه، وهو عليه شَديدٌ، فله أجرانِ ". (أخرجه البخاري)

أخرج البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " لا حَسَدَ إلَّا في اثنَتَينِ: رَجُلٌ عَلَّمه اللَّهُ القُرآنَ فهو يَتلوه آناءَ اللَّيلِ وآناءَ النَّهارِ، فسَمِعه جارٌ له، فقال: ليتَني أُوتيتُ مِثلَ ما أُوتيَ فُلانٌ فعَمِلتُ مِثلَ ما يَعمَلُ، ورَجُلٌ آتاه اللهُ مالًا فهو يُهلِكُه في الحَقِّ، فقال رَجُلٌ: ليتَني أُوتيتُ مِثلَ ما أُوتيَ فُلانٌ فعَمِلتُ مِثلَ ما يَعمَلُ ".

المُرادُ بالحَسَدِ هنا الغِبطةُ، وهو تمَنِّي مِثلِ ما للمَحسودِ، لا تمَنِّي زَوالِ تلك النِّعمةِ عنه؛ فإنَّ ذلك الحَسَدُ المَذمومُ. (الترغيب والترهيب للمنذري:٢/ ٣٥١).

وقال ابنُ بَطَّالٍ-رحمه الله-: " هذا مِنَ الحَسَدِ الحَلالِ، والحاسِدُ فيه مَشكورٌ؛ لأنَّه إنَّما حَسَدَه على العَمَلِ بالقُرآنِ والعِلمِ، وحَسَد صاحِبَ المالِ على نَفقَتِه له في حَقِّه، فلم يَقَعِ الحَسَدُ على شَيءٍ مِن أُمورِ الدُّنيا، وإنَّما وقَعَ على ما يُرضي اللَّهَ ويُقَرِّبُ مِنه؛ فلذلك كان تَمَنِّيه حَسَنًا، وكذلك تَمَنِّي سائِرِ أبوابِ الخَيرِ إنَّما يَجوزُ مِنه ما كان في مَعنى هذا الحَديثِ إذا خَلَصَتِ النِّيَّةُ في ذلك للَّهِ، وخَلَصَ ذلك مِنَ البَغيِ والحَسَدِ ".

(شرح صحيح البخاري:١٠/ ٢٩٠).

أخرج الإمام مسلم من حديث أبي أُمامةَ الباهليِّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " اقرؤوا القُرآنَ؛ فإنَّه يَأتي يَومَ القيامةِ شَفيعًا لأصحابِه... ".

أخرج الإمام أحمد وأبو داود واللَّفظُ له والترمذي من حديث عبدِ اللهِ بنِ عَمرٍو رَضِيَ اللهُ عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: " يُقالُ لصاحِبِ القُرآنِ: اقرَأْ، وارتَقِ، ورَتِّلْ كَما كُنتَ تُرَتِّلُ في الدُّنيا؛ فإنَّ مَنزِلَك عِندَ آخِرِ آيةٍ تَقرَؤُها ". (صحيح سنن أبي داود:١٤٦٤) (صححه شعيب الأرناؤوط في تخريج سنن أبي داود:١٤٦٤)

أخرج الإمام أحمد واللَّفظُ له وابن ماجه من حديث أبي سَعيدٍ الخُدريِّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " يُقالُ لصاحِبِ القُرآنِ يَومَ القيامةِ إذا دَخَل الجَنَّةَ: اقرَأْ واصعَدْ، فيَقرَأُ ويَصعَدُ بكُلِّ آيةٍ دَرَجةً، حتَّى يَقرَأَ آخِرَ شَيءٍ مَعَه ". (صحيح سنن ابن ماجه:٣٧٨٠) (وصححه لغيره شعيب الأرناؤوط في تخريج مسند أحمد:١١٣٦٠).

قال أحدُ الصالحين لتلميذه: " أتحفظ القرآن؟ قال: لا، فقال: واغوثاه، يا الله لمريد لا يحفظ القرآن، فبم يتنعم، فبم يترنم؟ فبم يناجي مولاه؟ ".

١- السَّفَرةُ: هُمُ المَلائِكةُ، سُمُّوا سَفَرةً؛ لأنَّهم يَنزِلونَ بوحيِ اللهِ، وما يَقَعُ به الصَّلاحُ بَينَ النَّاسِ، كالسَّفيرِ الذي يُصلِحُ بَينَ القَومِ. ويُقالُ: السَّفَرةُ: الكَتَبةُ، واحِدُهم سافِرٌ، وسُمِّي الكِتابُ سِفرًا؛ لأنَّه يُسفِرُ الشَّيءَ ويُبَيِّنُه، وسُمِّي الكاتِبُ سافِرًا؛ لأنَّه يُبينُ الشَّيءَ ويوضِّحُه، ومِنه إسفارُ الصُّبحِ، قال اللهُ سُبحانَه وتعالى: ﴿يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ (الجمعة:٥) أي: كُتُبًا، واحِدُها: سِفرٌ. (شرح السنة للبغوي:٤/ ٤٣٠).

الأدب الخامس والثلاثون: عدم المراء في القرآن أو الجدال فيه بغير حق:

فقد أخرج البيهقي في" شعب الإيمان" بسند صحيح عن عبد الله بن عمرو-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: " لا تجادِلوا في القرآنِ، فإنَّ جدالًا فيه كفرٌ ".

وكان السلف الصالح يُحذِّرُون من الجدال في القرآن:

فها هو عمر ﷺ يقول لزياد بن حُدَيْرٍ: " هل تعرف ما يُهْرِم الإسلام؟ قال: قلت: لا، قال: يهرمه زَلَّةُ العالم، وجدال المنافق بالكتاب، وحكم الأئمة الضالين ". (رواه الدارمي:٨٢)

(وقال الألباني-رحمه الله-في "مشكاة المصابيح:١/٨٥": "إسناده صحيح)

وقال ﷺ أيضًا: " إنه سيأتي ناسٌ يجادلونكم بشبهات القرآن فخذوهم بالسُّنَن، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله ". (الدارمي:٦٢)

قال عليٌّ بن أبي طالب ﷺ لإياس بن عمر-رحمه الله-: " إنك إن بقيت سَيقْرأُ القرآن ثلاثة أصناف: فصنف لله، وصنف للجدال، وصنف للدنيا، ومَن طلب به أدرك ". (الدارمي:٢/٥٢٦)

وجاء في حديث أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي في" السنن الكبرى" من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " المِراءُ في القُرآنِ كُفرٌ ". (صحيح أبي داود: ٤٦٠٣) (صحيح الجامع: ٦٦٨٧)

والمراء هو الطعن في كلام الغير لإظهار خلل فيه، وأنه يلتمس الخطأ من حيث اللفظ أو المعنى، وهذا فلا يجوز في حق القرآن، والمراء فيه كفر.

وفي هذا الحديثِ يُحذِّرُ النَّبيُّ ﷺ مِنَ الجِدالِ في القُرآنِ؛ فيقولُ ﷺ: **المِراءُ**- أي: الجِدالُ- **في القُرآنِ كُفْرٌ**، وهو الجِدالُ الَّذي يُريدُ به صاحبُه تَكذيبَ القرآنِ، وليس الَّذي يبحَثُ فيه عن معانيه وأحكامِه وأسرارِه؛ فإنَّ مَن جَادَلَ فيه بالباطلِ؛ ليرميَ بعضَه ببعضٍ ويَطعَنَ فيه ويُشكِّكَ فيه فقدْ كَفَرَ.

قال المناوي-رحمه الله-: وقوله ﷺ:" المِراءُ في القُرآنِ كُفرٌ". أي الشك في كونه كلام الله، أو أراد الخوض فيه بأنه محدث أو قديم، أو المجادلة في الآي المتشابهة وذلك يؤدي إلى الجحود فسماه كفرًا باسم ما يخاف عاقبته ". اهـ

فالمراء والجدال في القرآن لا يجوز، لأنه ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصلت:٤٢)

وقفة: مر بنا في الأدب الثاني والثلاثين أنه يستحب الاجتماع على قراءة القرآن، لكن إذا اختلف الجُلوس في شيء من القرآن وطال الخلاف ووقع الشقاق ونزغ الشيطان بينهم، فعليهم أن يقوموا، امتثالا لأمر النبي ﷺ. ***فقد أخرج البخاري من حديث جندب بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله*** ﷺ:" اقرَؤوا القُرآنَ ما ائتَلَفَت عليه قُلوبُكُم، فإذا اختَلَفتُم فيه فقوموا عنه ".

ومعنى الحديثِ:" أي اقرَؤوا القُرآنَ ما اجتَمَعَتْ قُلوبُكُم عَلَيهِ عند قراءتِه، وأقبلت عليه بخُشوعٍ وتأثُّرٍ، فاستَمِرُّوا على قراءتِه، لكنَ إذا اختَلَفتُم في فَهْمِ مَعانيهِ، أو في أحكامه أو مررتم بشُبهةٍ توجِبُ المنازعةَ الدَّاعيةَ إلى الفُرقةِ، فتَفَرَّقوا عنه، واترُكوا هذا الخلاف الدَّاعي إلى الفُرقةِ، وارجِعوا إلى المحْكَمِ الموجِبِ للأُلفةِ، وقوموا عن الاختلافِ وعمَّا أدى إليه؛ لئَلَّا يَتَمادى بِكُم الاختِلافُ إلى الشَّرِّ.

وأخيراً أحبتي في الله... فَلْنَحْرِصْ عَلَى التَّحَلِّي بِآدَابِ الْقُرْآنِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، فَنُقْبِلُ عَلَى الْقُرْآنِ إِقْبَالَ الْخَاضِعِ الْمُتَعَلِّمِ، وَنَقْرَؤُوهُ قِرَاءَةَ الْوَاعِي الْمُتَفَهِّمِ، وَنَطْوِي صَفَحَاتِهِ، وَقَدْ وَعَيْنَا مَا طُلِبَ مِنَّا مِنْ عَمَلٍ، فَنَغْدُو إِلَى الْحَيَاةِ وَقَدْ أَثَّرَ فِينَا وَغَيَّرَ مِنَّا، فَنُطَبِّقُهُ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِنَا، وَنُقِيمُهُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ وَاقِعًا وَمِنْهَاجَ حَيَاةٍ.

وبعد...

فهذا آخر ما تيسَّر جمعه في هذه الرسالة.

وأسأل الله– تعالى– أن يكتب لها القبول، وأن يتقبَّلها منّي بقبول حسن، كما أسأله سبحانه وتعالى أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومَن أعان على إخراجها ونشرها.....إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمنِّي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا شأن أي عمل بشري فإنه يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صوابًا فادعُ لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثَمَّ خطأ فاستغفر لي:

وإن وجدت العيب فسد الخللا جلّ من لا عيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحًا ولوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه نصيبًا

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا والله – تعالى– أعلى وأعلم.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك